الدكتور نبيل راغب

البطانة

مكتبة غريب
٣٠١ شارع كامل صدقي (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧

(١)

سمع عبدالعظيم بك دقات رقيقة على الباب فقال بصوته القوى الجهورى :

ــ ادخل »

انفتح الباب ودخلت مدام فتنة ثم أغلقته خلفها : امرأة بيضاء البشرة تناهز الخامسة والثلاثين من عمرها . ترتدى ثوباً أنيقاً يميل إلى لون النبيذ المعتق . تنطق ملامح وجهها الوردى بقوة الشخصية فى حين تتحدث منحنيات جسمها الفارع الملىء بلغة النشوة والإثارة ، لم يحتمل زوجها الاستمرار معها تحت سقف واحد ، فقد كانت مثل المصباح المنير ليل نهار حتى عشى بصره . وأصبحت الآن حرة طليقة تطلق سهام سحرها على من تشاء من العباد فيخرون مابين مبهور وصريع . لكنها تسير فى طريقها لاتلوى على شىء . تريد فقط أن تستعيض بسحرها عن العقدة الكامنة داخلها وهى أنها لم تتلق تعليما جامعياً . فقد أكملت تعليمها بالكاد فى المدرسة الأجنبية حين اختطفها زوجها الثرى الذى لم يحتملها بعد ثلاث سنوات ونصف من زواج مثير .

ملأ عبدالعظيم بك عينيه بهيئة فتنة ، وأنفه بالعطور المشعة منها ، وأذنه بدقات حذائها على أرض الغرفة . وقفت أمام مكتبه بابتسامتها الغامضة المثيرة :

— أعضاء مجلس الإدارة فى انتظار إذن حضرتك لبدء الاجتماع ..

ابتسم عبد العظيم :

— ولماذا تتكلمين بهذه اللهجة الرسمية ؟

— أنا الآن مجرد سكرتيرة تخاطب رئيس مجلس الإدارة .

قالتها فتنة ضاحكة فعلق عبدالعظيم بك :

— أنت تعلمين جيداً أنك كل شيء بالنسبة لى ..

رأى يدها البضة البيضاء فوق مكتبه ، فضغط عليها بحنان لكنها سحبتها برقة ونعومة :

— أشعر بالنشوة تسرى داخلى عند رؤيتك سعيداً . .

— إن رؤيتك هى مصدر سعادتى . وخاصة أننى بالأمس مررت على طبيبى تنفيذاً لتعليمات حرمنا المصون . وقام بعمل رسم لقلبى وطمأننى بأننى على ما يرام برغم إصابتى بأزمتين متتابعتين من قبل . لكنه حذرنى من الإجهاد والتوتر والسهر والشراب والتدخين .

— أفهم من هذا أنك لن تحضر سهرة الليلة ؟!

— وماذا أفعل بالنار المشتعلة داخلى ؟! صحيح أننى بلغت الثامنة والخمسين .. لكننى أشعر بأن الشاب الذى يكمن داخلى لايزيد على الثامنة والعشرين .

أشعل عبدالعظيم بك سيجاراً وقال ضاحكاً :

— هذا أول محظور طبى أقع فيه. وسأقع الليلة فى محظور السهر والشراب وربما الإجهاد . أما التوتر فلا يعرف إلى طريقاً طالما أنت معى .

— أروع ما فيك عشقك للحياة ؟ !

— كيف نرفس هذه النعمة الكبيرة ؟ !

— هل أقوم بادخال أعضاء مجلس الادارة ؟ !

— أعضاء مجلس الادارة يستطيعون الانتظار !

— كلما دخلوا مبكرين ، كان خروجهم مبكرا كي تتفرغ وتستعد لسهرة الليلة !

— كانت غلطة مني أن أعقد اجتماعا اليوم . دعهم يدخلون وسأتخلص منهم بأسرع ما يمكن .

ابتسمت فتنة وعادت أدراجها مارة بمكتب الأستاذ ساهر مدير مكتب عبدالعظيم بك حيث تجمع أعضاء مجلس الادارة السبعة فى انتظار الاذن بالدخول . أومأت فتنة برأسها فى حركة ملؤها الثقة والترفع للرجال .

— تستطيعون الدخول الآن .

نهضوا جميعا وساروا فى شبه طابور صامت عبر باب عبد العظيم بك . ابتسمت فتنة لساهر :

— عبدالعظيم بك رفع حالة الاستعداد للسهرة إلى الدرجة القصوى .

— أخاف أن أحسده . إنه يكبرنى بعشرة أعوام ، لكنه فى الحيوية يصغرنى عشرين عاما .

— هل أعددت شقتك للسهرة ؟ !

— شقتى معدة دائما .. لكنك لم تخبرينى حتى الآن بعدد الحاضرين ؟

— الحاضرون : أنا وعبدالعظيم بك .. وتوفيق بك .. ومصطفى بك .. وبريهان ومرفت وبوسى ..

— لم أر بوسى هذه من قبل ؟

— إنها وجه جديد جميل . أقنعتها مرفت بالحضور على أساس أن تخبر أسرتها بأنها ستبيت عندها لاستذكار المحاضرات المتأخرة .

— ما أحلى سهرات الزغاليل ؟ !

— لا يستطيع عبد العظيم بك الابتعاد عنهن حتى لا يضمر شبابه ! عموما فالفوائد متبادلة . .

دق جرس الباب فأسرعت فتنة ملبية طلب عبدالعظيم بك . طلب منها إحضار ملف المهندس عادل أمين . فى ثوان كان الملف أمامه .

قال عبدالعظيم لفتنة :

— انتظرى فى مكتبك .. ربما طلبتك مرة أخرى .

لاحظ الأعضاء الملتفون حول مائدة الاجتماعات الرقة التى يتكلم بها عبدالعظيم فتبادلوا النظرات المستترة .

قالت فتنة بلهجة دبلوماسية راقية :

— تحت أمر سيادتك .

تراجعت الى الخلف واختفت فى حين حاول بعض الأعضاء التمسح بجسمها بعيونهم القابعة خلف نظارات سميكة . لكنهم سرعان ما التفتوا إلى عبدالعظيم بك حينما قال :

— إن موضوع عادل أمين هو السبب فى عقدى لاجتماع اليوم. هذا الولد لايعرف لنفسه حدودا لدرجة أنه نسى من هو وتجرأ ورشح نفسه فى انتخابات مجلس الادارة القادمة عن العمال . وأريد منكم بصراحة مساعدتى فى إيقافه عند حده . إن ميوله الهدامة يمكن أن تهدم شركتنا لو استطاع

احتلال مقعد فى مجلس الادارة . كذلك لاتنسوا أن هذا المقعد سيكون أحد المقاعد التى يجلس عليها أحدكم الآن .

قال عبدالحميد بعد أن مسح نظارته بمنديله :

— لقد نجح المهندس عادل فى تكتيل العمال خلفه ، وأصبح قوة لا يستهان بها .

تصبب العرق على جبهة عبدالحق برغم جهاز التكييف . فقال :

— إنه مهندس ولا ينتمى إلى فئة العمال . ومن هذا المنطلق يمكن إيقاف ترشيحه على أساس أنه يتنافى مع قوانين الانتخابات .

حسم عبدالعظيم بك الموضوع بقوله :

— انسحب المرشحان العماليان اللذان دخلا المعركة معه حتى يخلو له الجو تماما . والآن ما رأيك يا سيد عبد المجيد بصفتك ممثل العمال . .

قال عبدالمجيد ممثل العمال الحالى فى المجلس . :

— اذا استمر الأمر على ما هو عليه ، فانه يعنى خروجى المؤكد من المجلس . إنه يرفع شعارات الكفاح والثورية ودعم الطبقات الكادحة مما يضرب به على الأوتار الحساسة عند جماهير العمال .

قال عبدالقادر لعبد المجيد :

—إنك أخطأت بابتعادك عن العمال منذ نجاحك فى الانتخابات السابقة . كان من الممكن أن تلعب اللعبة نفسها وتستقطب العمال بالشعارات البراقة ثم تعمل ما تشاء تحت هذه الشعارات المرفوعة .

قال عبدالمنعم لعبدالقادر :

– لاتنس يا عبدالقادر أن المهندس عادل هو ابن المرحوم أمين مصطفى الذى أسس اللجنة النقابية للعمال عند تأسيس الشركة منذ عشرين سنة ؛ وأن العمال يعتبرون عادلا ابن زعيمهم المثقف خريج كلية الزراعة الذى سيعيد إليهم حقوقهم كاملة ؛.

تساءل عبدالمعطى الذى كان يراقب الحوار بقلق :

– هل معنى هذا أن نستسلم لهذا الولد حتى نراه يجلس بيننا وهو يقلب المقاعد فوق رؤوسنا ؟

عندئذ تدخل عبدالعظيم بك متسائلا :

– هذا اذا بقيتم فى مقاعدكم . لأن دخول هذا الولد الانتخابات بهذه الثقة ربما قلب أوضاعها رأسا على عقب ، ورجح كفة المرشحين الآخرين الذين يطمعون فى مقاعد بعضكم ..

عندئذ انفتح باب الغرفة ودخل عم جعفر ساعى المكتب الكهل حاملا صينية عليها المشروبات المثلجة فى حر يوليو القائظ . نظر الجميع إلى مقدم عم جعفر ببشاشة ، لكن عبدالعظيم بك تضايق من هؤلاء السعداء بالمشروبات فى حين يتهدد الخطر الجميع . فصرخ :

– بسرعة يا جعفر .. لا مجال لتضييع الوقت ..

أسرع جعفر بوضع كوب مثلج أمام كل عضو واختفى فى لمح البصر؛ قبل أن يفتح عبدالعظيم بك فمه بكلمة أخرى كانت الأكواب على الشفاه ولم يسمع غير صوت الارتشاف . ابتسم عبدالعظيم بك ابتسامة داخلية لم يلحظها أحد وتعجب من نفسه : كيف يعتمد على هؤلاء الذين تتمثل أقصى سعادتهم فى ارتشاف كوب من المياه الغازية المثلجة ؟! إن الطوفان قادم وسيجرف الجميع وهم لايفكرون إلا فى لحظة العطش الراهنة ! ! إنه يحارب عادلا من

أجل مستقبله فى الشركة وليس خوفا عليهم . اتضحت الآن أبعاد المعركة ؛ إنها ليست معركة بين أعضاء مجلس الادارة وجمهرة العمال . إنها معركة شخصية بحتة بينه وبين عادل ولابد أن يستخدم فيها الأسلحة التى برع فى القتال بها . أما هؤلاء القابعون الآن حول المائدة فمجرد سد خانات . إنهم يخافون على مكاسبهم فقط ، أما العمل من أجل حماية هذه المكاسب فقد تعود أن يستخدم فيها عبقريته التى ترفع لواء القانون . لا فائدة من هذا الاجتماع حتى من الناحية الشكلية .. إنهم يعتمدون عليه لأنهم يدركون بخبثهم الوظيفى أنها معركته قبل أن تكون معركتهم ، فلماذا يتعبون أنفسهم ؟ ! وخاصة أنه لن يجد شركاء أفضل منهم فى الموافقة السريعة على كل قراراته !

ارتوى الأعضاء وفرغت الأكواب تماما والتزموا الصمت المطبق فى انتظار رأى عبدالعظيم بك . لم يسمع سوى الأزيز الرتيب الهادىء لجهازى التكييف فى الغرفة الفاخرة . أشعل عبدالعظيم بك سيجاره الفاخر ونظر الى ساعة يده الذهبية وقال :

– شكرا .. هذا كل ما أردته من الاجتماع .. ولا أريد أن أضيع وقتكم أكثر من ذلك ..

– نحن تحت أمرك .. لكننا لم نحسم الموضوع الذى اجتمعنا من أجله

أجاب عبدالعظيم بك بلهجة من يريد إنهاء الاجتماع :

– إن الموضوع فى حاجة الى تفكير متأن وحاسم حتى نواجهه بالسلاح المناسب . أما اجتماع مثل هذا فلا يكفى . أريد من كل واحد منكم أن يفكر على انفراد ثم يقدم لى الاقتراحات المناسبة . هناك فسحة من الزمن قبل الانتخابات . إن شهرا من الزمن يكفى لازاحة هذا الولد من طريقنا بشرط ألا نمس جمهرة العمال من قريب أو بعيد .

قال عبدالمنعم معلقا :

– إنهم العصب الحى للشركة وبدونهم تتوقف تماما ..

أضاف عبدالمعطى :

– ولذلك يجب أن نكتسبهم إلى جانبنا بكل الطرق الممكنة وغير الممكنة .

قال عبدالحميد بعد صمت طويل :

– قبل أن ينفض الاجتماع . . وقبل أن أنسى .. ماذا تم فى المناقصة التى أعلنتها الشركة لتوريد كرتون التعليب ؟ !

– كما تعلمون تقدم للمناقصة شركة مصرية وأخرى هندية وثالثة فرنسية . ويبدو أن المناقصة سترسو على الشركة الفرنسية ؟

لم يسكت عبدالحميد :

– لكن شروط الشركة المصرية أفضل .. وأسعارها أقل من الفرنسية ؟!

أومأ عبدالعظيم بك برأسه موافقا وقال :

– كلامك مضبوط .. لكن ماذا نفعل وقد تأخرت الشركة المصرية فى تقديم التأمين الابتدائى فأصبح عطاؤها كأن لم يكن ؟ !

تساءل عبدالحميد ؛ :

– دون إبداء الأسباب ؟ !

أكد عبدالعظيم بك قوله :

– نعم .. دون إبداء الأسباب .

(٢)

تنقل عادل بين العمال القابعين أمام آلاتهم . كان مرتديا معطفا أبيض فبدا واحداً منهم . برغم هدير الآلات التى تحيل الألبان إلى منتجات عديدة منها المسلى والزبد والجبن ، أو تحتفظ به معبأ مبسترا ، كان عادل يداعب العمال بصوت عال مسموع . يسأل عن صحة ابن أحدهم ، ويستدير ليربت على كتف آخر ، ويسرع ليقوم بضبط آلة ثالث ، ثم يخرج من جيبه علبة نعناع ليقدم منها واحدة لرابع . والجميع سعداء بهذا الابن البار أو الأخ المخلص ، يتتبعونه بنظرات زاخرة بالعرفان والحنان والدفء الى أن دخل معمل التحاليل واختفى عن أعينهم .

فى المعمل وجد عادل مساعده المهندس رأفت خريج الزراعة منكبا على أحد أجهزة التحليل . وضع عادل يده على كتفه مربتا فنظر اليه رأفت بابتسامة عذبة . سأله عادل بصوت عال لأن صوت الآلات فى الخارج لا يزال يفرض نفسه داخل المعمل :

– ما أخبار التحاليل الأخيرة ؟

– نسبة الدسم عالية جدا فى ألبان الأبقار التى قمنا بتربيتها فى مزارع الشركة الجديدة ومراعيها !

– لقد حاربنا عبد العظيم بك حربا شعواء لمنعنا من إنشاء هذه المزارع الخاصة بالشركة . كان يريد أن يجعلنا دائما تحت رحمة الموردين من أصدقائه ومحاسيبه . لكن إصرارنا وإيماننا بمصلحة بلدنا العليا جعل الشركة على وشك الاعتماد كلية على مزارعها .

أجاب رأفت :

– إننى أعشق طموحك الذى لا حدود له . ولذلك كنت أتمنى أن تخوض شركتنا معركة القضاء على أزمة اللحوم عن طريق تربية السلالات المناسبة فى مزارعها . بل يمكننا أيضا إنشاء فرع لحفظ اللحوم وتعليبها بل وتصديرها جذبا للعملة الصعبة ..

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه عادل وقال :

– عمرك أطول من عمرى يا رأفت . لكن المهم أولا تدعيم استقلال الشركة فى فى حصولها على اللبن الخام ، ثم التطور بها لإنتاج اللحوم .

– هل تعتقد أن عبد العظيم بك سيلتزم بموقف الدفاع وهو يرانا نتحرك بهذه الخطوات الثابتة الواثقة ؟ !

– إننى أتوقع أنه سيفعل المستحيل كى يقضى علينا . لكنه يعمل للعمال ألف حساب . وأعتقد أنه سيحاول – بطريقة ما – أن يوجد فجوة أو هوة بينى وبينهم حتى يسهل التأثير عليهم .

فى هذه الأثناء دخل عم درويش رئيس اللجنة النقابية للعمال مسرعا وقال لعادل :

— أتعلم يا باشمهندس أن عبدالعظيم بك عقد اجتماعا طارئا اليوم لمجلس الإدارة . وحاولت أن أعرف موضوع الاجتماع من الست فتنة وساهر بك لكننى لم أحصل على أية معلومات . قلبى غير مطمئن لما دار فى هذا الاجتماع .

ربت عادل على كتف عم درويش قائلا :

— بصفتك رئيسا للجنة النقابية للعمال يجب أن تعلم أن كفتنا هى الراجحة مهما حاولوا من مؤامرات . فنحن القوة المحركة للجهاز كله ، وبدوننا لاقيمة لهم ولا لمكاتبهم الفاخرة .

سرح درويش ببصره بعيدا وكأنه يتذكر شيئا :

— تماما .. تتكلم مثل المرحوم والدك الحاج أمين مصطفى . عندما أنشأ اللجنة النقابية التى تفرعت منها نقابتنا الكبيرة الآن ، كان يقول لنا إن النقابة هى صخرة العمال التى ستتكسر عليها كل محاولات الانتهازيين والاستغلاليين والمتسلقين والطفيليين . مهما كانت مراكزهم فى الشركة .

ضحك رأفت وقال :

— صحيح . ابن الوز عوام ..

قال عادل بلهجة جادة :

— لكن يجب ألا ننسى أننا نعوم أحيانا ضد التيار . ولذلك يجب أن نتماسك جيدا حتى لانجرف بعيدا عن أهدافنا .

أجاب درويش :

— كل ما أخاف منه أن يطعننا عبد العظيم بك فى الظلام أو فى الخلف . وخاصة بعد أن أصبح نجاحك فى الانتخابات مؤكدا .

طمأن عادل عم درويش بطريقته المعتادة :

ــ إذا نجح عبد العظيم بك فى القضاء على عادل ، فسيخرج له من وسط العمال ألف عادل غيره . إن المسألة ليست صراعا شخصيا بقدر ما هى صراع بين النور والظلام ، بين المستقبل والماضى . ولابد أن ينتصر النور والمستقبل فى النهاية . مهما بعدت هذه النهاية .

علق رأفت الذى تابع الحوار بين عادل ودرويش :

ــ كلامك يا باشمهندس يمنحنى من الأمل والتفاؤل جرعات تجعلنى قادرا على دك الجبال وقهر المستحيل .

لكن درويشا لم يتشبع بهذا التفاؤل واستمر فى التعبير عن مخاوفه :

ــ لقد بدأ عبدالعظيم بك تطبيق سياسة الاستعمار البريطانى : فرق تسد ، وذلك بأن وقع اختياره على عشرين عاملا ليكون منهم فريق كرة قدم تابعا للشركة ويحمل اسمها فى مباريات الدورى العام .

تدخل رأفت فى الحوار مرة أخرى بعد أن كان قد انكب على جهاز التحليل :

ــ الرياضة يا عم درويش شىء عظيم . ويجب ألا نعترض عليها .

قال عادل لرأفت :

ــ الرياضة شىء عظيم فى حد ذاته . أما اذا اتخذت ستارا لإخفاء أهداف مسمومة أصبحت سلاحا ضد التطور والتقدم .

أمن درويش على كلام عادل :

-- وهذا ما حدث بالفعل . لقد ألغى عبدالعظيم بك البند الذى اعتمد لمحو أمية بعض عمال الشركة ، وحول بند الميزانية هذا للصرف على فريق الكرة المزمع تكوينه .

سأله عادل :

— وهل وافق مجلس الإدارة على هذا القرار الغريب ؟

أجاب درويش :

— أنت تعلم ياباشمهندس أنهم يوافقون على أى قرار لايمس مصالحهم الشخصية . وعبد العظيم بك حريص على مصالحهم لأنها جزء من مصالحه الشخصية المتشعبة .

علق عادل :

— دخولى الانتخابات جعله يسفر عن حقيقته : لكن أين سيتدرب لاعبو هذا الفريق الجديد ؟ !

أجاب درويش :

— كنت اليوم فى إدارة الشئون المالية والإدارية ووصل إلى مسامعى كلام الأستاذ عبد الحق وهو يأمر مكرم ابن جعفر ساعى عبد العظيم بك بسرعة الانتهاء من دراسة موضوع شراء الأرض الخلاء المجاورة للمصانع لإنشاء نادى الشركة عليها ، على أن تخصم أقساطها من حوافز العاملين ومكافآتهم على مدى عشر سنوات ..

تحرك عادل فى عصبية بين موائد المعمل وقال :

— إن المعركة أصبحت واضحة وصريحة : ولم يتبق سوى أن نضع تحت أعين العمال الحقائق عارية بكل أهدافها المستترة حتى يتسلحوا بالوعى اللازم لحماية حقوقهم .

أضاف درويش :

— ويجب أن نضع فى حسابنا العشرين لاعبا الذين تم اختيارهم . فهم يمنون أنفسهم الآن بالمكاسب والأمجاد التى سيحصلون عليها دون أية مساهمة حقيقية منهم فى عمل الشركة الأساسى . .

أكد رأفت باصرار :

— سنخوض معركة الانتخابات حتى لو تحولت إلى مذبحة . .

ابتسم عادل لاصرار رأفت وقال :

— لسنا طامعين فى مناصب أو امتيازات خاصة وانما آن الأوان لنضع مقدراتنا فى أيدينا . فالآلام آلامنا ، والمعاناة معاناتنا ونحن الذين ندفع الثمن فى النهاية .

قال درويش بوعى غريزى :

— على الأقل ندفعه ونحن الذين نقرر دفعه اذا دعت الضرورة .

سرح رأفت ببصره عبر النافذة حيث مر أتوبيس يكاد ينفجر بزحام راكبيه فقال :

— لا أنسى كيف تصدى عبد العظيم لفكرة شراء أتوبيسات لنقل العاملين بالشركة من وإلى منازلهم بدعوى توفير هذا البند لتطوير آلات المصانع .

ارتسمت ابتسامة ساخرة مريرة على وجه درويش فأظهرت فمه من الداخل حيث ضاعت معظم أسنانه . قال :

— لولا تصدى المهندس عادل له لأحال بند شراء الأتوبيسات لإنشاء فريق الكرة . إن الجميع يدعون لك بالتوفيق والنجاح .

بدت السعادة على وجه عادل عندما قال درويش هذه الملاحظة الأخيرة ، لكن الجدية الصارمة سرعان ما غطت وجهه مرة أخرى وقال :

ــ ماذا يهم عبد العظيم بك طالما أنه يركب العربة المرسيدس المكيفة الهواء . الحمد لله أننا استطعنا انتزاع الأتوبيسات من بين أنيابه ..

تذكر رأفت شيئاً فجأة فقال :

ــ يقولون ان الأستاذ عبد الحق بصفته رئيس القطاع المالى والتجارى ، اتفق مع عبد العظيم بك على رسو العطاء على مورد سيارات اتهم من قبل فى قضايا تهريب ونصب . وأن هذا المورد استبدل محركات الأتوبيسات الجديدة بأخرى قديمة ، ولذلك فهى كثيرة العطل ..

لم ينفعل عادل وإنما قال :

ــ طالما أن الأعضاء الثلاثة المنتخبين فى مجلس الإدارة لتمثيل العمال والعاملين يرون دائماً مايراه عبدالعظيم بك .. فمن المحتمل أن تحدث كل هذه الثغرات والمخازى ..

قال رأفت :

ــ أتمنى أن أغمض عينى ثم أفتحهما فلا أجد عبد الحميد نائب رئيس مجلس الإدارة ومدير المصانع ، ولا عبد المعطى رئيس قطاع الشئون الفنية والمشروعات ، ولا عبدالحق رئيس القطاع المالى والتجارى لأنهم فى اعتقادى أس الفساد .

قال عادل بحسم :

ــ يجب ألا نضيع تفكيرنا وجهدنا فى التمنى وخاصة أن من ذكرتهم هم الأعضاء المعينون ولن يتغيروا . وإذا حدث تغيير فى الأنتخابات فستكون

نتيجته خروج عبدالمجيد وعبدالقادر وعبدالمنعم أو أحدهم ، لأنهم منتخبون عن العمال والعاملين .

فى هذه اللحظة شعر الثلاثة بوجود شخص عند مدخل الغرفة ، التفتوا تجاهه كأن عيونهم شدت بخيط واحد . كان عم جعفر ساعى عبد العظيم بك . همس درويش بصوت مسموع برغم هدير الآلات خارج الغرفة :

— إنه جاسوس عبدالعظيم بك .. يدخل دون أن يشعر به أحد .

سار عادل بخطوات واسعة حتى أصبح وجهاً لوجه مع جعفر :

— أى خدمة ياعم جعفر ؟

— عبدالعظيم بك يريدك الآن ..

— لماذا ؟

— كيف لى أن أعرف هذه الأشياء ؟

قال عادل بابتسامة ممزوجة بالسخرية والخبث :

— إنك الخير والبركة ياعم جعفر .. هيا بنا .

نظر عادل خلفه نظرات لها معنى لكل من درويش ورأفت وسار وفى أعقابه عم جعفر .

فى طريقه إلى مكتب رئيس مجلس الإدارة ، ضرب عادل أخماسه فى أسداسه . لم يكن هناك موضوع مشترك بينهما . لعلها مناورة جديدة .

(٣)

رحب عبدالعظيم بك ترحيباً مريباً بعادل . رجل ثعباني يقتل القتيل ويسير في جنازته . أسنانه تقطر سماً بسقوط كلماته في أذني عادل :

ـ لقد سعدت عندما علمت بترشيح نفسك في الانتخابات . فأنا أحب الشباب الثوري وأشجعه دائماً . إنه مستقبل مصر .

استدرك عبدالعظيم بك ثم قال مستأنفاً :

ـ نسيت ! ماذا تشرب؟ !

ـ شكراً يافندم .

ـ ضروري .

لم ينتظر عبدالعظيم بك إجابته بل ضغط على أحد الأزرار على المكتب الجانبي الصغير وسرعان ما أنفتح الباب ودخلت مدام فتنة يسبقها عطرها المخدر للحواس . وقفت أمام عادل منحنية وهي تضع صينية فضية عليها علبة معدنية من المياه الغازية المستوردة . اقتحم العطر أنف عادل فتذكر العطر الرخيص الذي تستخدمه خطيبته أشجان . ابتسمت مدام فتنة وهي تصب له المياه الغازية

فرأى مفرق صدرها الأبيض البض محاطا باطار ردائها النبيذى . نهض من مكانه ممسكا بعلبة المياه المعدنية من يد فتنة :

— العفو يافندم . حضرتك مرة واحدة ؟ !

أجاب عبدالعظيم بك مبتسما ابتسامة عريضة :

— درجات معزة الضيوف تختلف عندنا . إن أصابع اليد الواحدة ليست بنفس الطول بل إنك لست ضيفاً . إنك صاحب بيت.

ركزت فتنة ابتسامتها المعطرة الغامضة على وجه عادل الذى أخذ منها العلبة وجلس محرجاً . تراجعت إلى الخلف واختفت فى لمح البصر . منع الحرج عادلا من أن يرتشف رشفة واحدة . قال عبدالعظيم بك :

— تفضل .. ليس بين الأصدقاء والأحباء خجل .

— لم أتعود يافندم على مثل هذه المشروبات . . وإن كنت أفضل ماء النيل . ليس هناك شراب أروع منه مذاقاً وحلاوة .

— ألم أقل لك إننى أفضل الشباب بكل ثوريته وعفويته ؟

— إن شرب ماء النيل ليس شرطاً من شروط الثورية .

ضحك عبدالعظيم بك ضحكة مفاجئة وأضاف :

— وهذه أيضاً ثورية ..

شعر عادل بمنزلق خطير يقوده إليه عبدالعظيم بك . ارتشف رشفة سريعة من الكوب أثار هواء الغرفة المكيف فى نفسه إحساسا بعدم الارتياح ، فقد كان جسمه يتصبب عرقاً نتيجة الدوران بين الآلات والعمال فى المصنع أولا ثم نتيجة الحرج الذى سرى داخله بسبب المناورات الدائرة حوله والتى لا يعرف معناها . حسم أمره وقال :

– تحت أمرك يافندم .

دخل عبدالعظيم بك إلى الموضوع مباشرة :

– فى الواقع استدعيتك لإعجابى بقدرتك على الالتحام بالعمال وتلبية طلباتهم بهدف زيادة الإنتاج ورفع مستواه .

– هذا شرف كبير يافندم لا أستحقه .

– أنت تستحق كل خير . ولذلك وجدت من واجبى أن أعاونك بالنصح والإرشاد ليس كرئيس لمجلس الإدارة وإنما كأب لك ولأسرة الشركة كلها .

– ليس أحب إلى قلبى من نصيحة الخبرة والعلم .

استرخى عبدالعظيم بك فى مقعده الوثير بعد أن أخذ نفسين من سيجارته .

نظر فى عينى عادل وقال متحفزاً :

– بصراحة إننى أربأ بجهدك العبقرى أن تشتته فى أى نشاط آخر .

– لا أفهم شيئاً يافندم .

– أنا واثق فى ذكائك . وواثق من ادراكك لمتاهات الإدارة التى تقتل أى ابتكارات للتطوير والتقدم . . لم أجن من الإدارة سوى نوبتين قلبيتين وسكر وقيامى برسم للقلب فى الشهر مرة على الأقل .

– طالما أن سيادتك تتكلم بصراحة . فهل يعنى هذا أن سيادتك تطلب منى أن أسحب ترشيحى لانتخابات مجلس الإدارة ؟ !

اقترب عبدالعظيم بك فى حركة مفاجئة بمقعده من مكتبه حتى التصق به تماما وهو يقول لعادل بصوت هامس كفحيح الأفعى :

– وستصبح كل طلباتك مجابة . حتى تلك التى لم تفصح عنها . مثل عربة بسائق لتوصيلك يومياً . وحوافز ومكافآت تشجيعية واستثنائية . وسفريات

دورية إلى الخارج . وسأبدأ بارسالك الأسبوع القادم إلى سويسرا للاطلاع على الآلات ال تى تنوى الشركة استيرادها .. هيه .. ماذا قلت؟ !

تماسك عادل وركز عقله على كل جوانب الموضوع فى لحظات وقال :

— وهل سأكون عضواً فى لجنة المشتريات بحكم خبرتى فى نوعية الآلات وأسعارها ؟

— بصراحة :. إنها نزهة لك فى سويسرا ! ! هدية منى لك ؟ !

— إذا تنازلت عن ترشيح نفسى لانتخابات مجلس الإدارة ؟ !

— وتخلصت من وجع القلب والدماغ . فانك تكون قد ضربت عصفورين بحجر واحد وحصلت على الحوافز والمكافآت والسفريات وأيضاً على راحة البال والصحة والعافية :

— أشكر لسيادتك اهتمامك البالغ بى . لكننى لا أستطيع أن أخون الثقة التى وضعها فى إخوانى وزملائى !

انتفض عبدالعظيم بك واقفاً فنهض عادل بنفس السرعة . أخذ عبد العظيم بك يذرع الغرفة جيئة وذهابا بعصبية مسرحية وعادل يتتبعه بعينيه محرجاً : وقف أمامه فجأة وقال :

— تريد أن تقول اننى أعلمك كيف تكون خائناً ؟ !

نظر عادل إلى الأرض فوقع بصره على حذاء عبدالعظيم بك اللامع مقارنا بحذائه الترابى . قال فى الحال :

— العفو يافندم . لم أقصد هذا . . وإنما قصدت أن أقول اننى لا أريد مطامع شخصية كل ما أريده هو أن يحصل العمال على حقوقهم فى مقابل تأدية واجبهم على أكمل وجه .

ألقى عبدالعظيم بك بنظرة اشمئزاز إلى عادل وقال :

– من أنت حتى تطالب وتريد ؟ ! يبدو أننى أخطأت عندما عاملتك معاملة الند للند . . إن ما قدمته لك من امتيازات لايحصل عليه أعضاء مجلس الإدارة أنفسهم . . هذا إذا كنت واثقاً من دخولك المجلس .

– لست واثقاً من شيء : كل ما أستطيع أن أقوم به هو تأدية واجبى نحو نفسى والآخرين بقدر الإمكان .

ذهب عبدالعظيم بك وجلس مشدوداً على مقعده الوثير :

– يبدو أننى أخطأت عندما استدعيتك . إن أمثالك لم يخلقوا للتفاهم وإنما خلقوا لتلقى الأوامر وتنفيذها ! !

– على كل حال .. لم أطلب أنا المقابلة .. وإنما نفذت أوامر سيادتكم باستدعائى للمثول أمامكم ..

صرخ عبدالعظيم بك فانتفض عادل فى وقفته :

– وترد على أيضاً ؟ ! اخرج فوراً قبل أن أحيلك للتحقيق ..

– لم أفعل شيئاً يمكن أن أحال بسببه إلى التحقيق ..

وقف عبدالعظيم بك مشيراً إلى الباب :

– اتفضل .. اتفضل .. ولا كلمة واحدة ..

انحنى عادل انحناءة خفيفة سريعة وخرج من الغرفة فوجد فتنة وساهراً واقفين بالباب ينصتان . تظاهر بأنه لم يلحظها . سار عبر الممرات ثم خرج إلى الساحة التى تؤدى إلى المصنع وصوت رأفت يتردد فى داخله : «سنخوض معركة الانتخابات حتى لو تحولت إلى مذبحة .» لكنه فى اللحظة نفسها تذكر صورة مفرق صدر فتنة الأبيض البض محاطا باطار ردائها النبيذى . وتعجب من نفسه تعجباً ارتسم على وجهه على هيئة ابتسامة غامضة .

(٤)

— الأسطى ربيع وصل منذ نصف ساعة ولم أرد أن أوقظك ..

وضعت السيدة رسمية يدها على كتف عبد العظيم بك الذى نهض من النوم مجهداً . نظر إلى ساعة يده :

— ياه . . إنها الثامنة والنصف . . وحفل استقبال الوفد السويسرى فى الشيراتون فى التاسعة والنصف ..

قالت زوجته :

— ستلحق بالحفل . . الفندق قريب وارتداء الملابس لايستغرق دقائق ..

فى حوالى ربع ساعة كان عبدالعظيم بك فى عربته المرسيدس السوداء يأمر الأسطى ربيع بالتوجه إلى المعادى . كان الجو لطيفاً يحمل بعض بقايا قيظ الظهيرة . لاتزال صورة عادل تفرض نفسها على مخيلته . عكر دمه ولن ينقذه من هذا التعكير سوى سهرة الأنس والصفاء فى المعادى . عبرت السيارة الفاخرة كوبرى الجيزة ثم كوبرى الملك الصالح وانطلقت يميناً بحذاء النيل . افترش الناس الشريط الأخضر الموازى للكورنيش . أحس عبدالعظيم بك

بنسمات النيل الرقيقة برغم أنه لم يفتح نافذة العربة ، فقد كان مستكيناً للتكييف داخلها .

عند مدخل المعادى طلب من الأسطى ربيع الانتظار يميناً ثم عبر الشارع على قدميه يساراً . عاد ربيع إلى مقعده بعد أن هرع لفتح الباب له . نظر فى اتجاهه حيث ابتلعته ظلال الأشجار الحانية على الشارع . عجيب أمر عبدالعظيم بك . كل مرة يأتى به إلى المعادى ليلا يطلب منه الانتظار فى بقعة مختلفة ثم يسير هكذا على قدميه . صحيح أن ساهر بك مدير مكتبه يقطن بالمعادى لكن لايعقل أن يزور رئيس مجلس الإدارة مدير مكتبه بصفة شبه منتظمة . ربما كان يمارس رياضة المشى وخاصة أن الطبيب نصحه بها .

بلغ عبد العظيم بك إحدى الفيلات التى تقع عند نهاية الشارع . دلف من الحديقة . وقف أمام الباب . لم يضغط على زر الجرس وإنما أخرج من جيبه مفتاحاً أدخله فى ثقب الباب الذى انفتح على صوت ضحكات مجلجلة وساهر يهرع إلى رئيسه مرحباً :

ـ أهلا بالنور كله . قلقنا على سيادتك وكنت على وشك الاتصال تليفونيا بالمنزل مخبراً سيادتكم بأن الوفد السويسرى فى انتظاركم على أحر من جمر فى الشيراتون .

ضحك عبدالعظيم بك من قلبه لأول مرة فى ذلك اليوم الطويل : سار مع ساهر حتى بلغا الركن الشرقى . وهو الغرفة التى أثثها ساهر بالسجاد العجمى والحشايا والوسائد والموائد الأرابيسك القصيرة الصغيرة ، وقد خلت تماما من المقاعد والأرائك التقليدية . نهض توفيق بك رئيس مجلس ادارة الشركة العامة للتعبئة والتغليف مرحبا بعبدالعظيم بك بالأحضان والقبلات ، وأعقبه مصطفى

بك صاحب توكيل السيارات والأتوبيسات التى قام بتوريد بعضها إلى شركة عبدالعظيم بك :

لمح عبد العظيم بك بيربهان ومرفت جالستين فانحنى فى وقفته ملاطفا إياهما : الأولى مربتا على رأسها والثانية مربتا على خدها . ثم لمح فى الركن القريب بوسى فحياها بإيماءة من رأسه وسأل ساهرا وهو يأخذ جلسته بين بيربهان ومرفت :

– لم تقدمونى للساحرة الصغيرة الجديدة بعد ؟

أجابت مرفت التى وضعت كتفها تحت ذراع عبدالعظيم اليمنى :

– إنها زميلتى فى الكلية ولقد قررت أن تبيت معى الليلة لاستذكار المحاضرات التى فاتتها : أليس كذلك يابوسى ؟ !

تورد وجه بوسى بحمرة الخجل وحاولت الرد لكنها تلعثمت وخرجت الحروف من بين شفتيها الحمراوين متقطعة متكسرة لذيذة .

علقت بيربهان :

– سيظل عبدالعظيم بك عاشقا للجمال فى كل صوره إلى آخر لحظة فى حياته .

قال عبدالعظيم ضاحكا :

– أتمنى أن تكون هذه اللحظة بين يدى جميلة فاتنة مثلك ؟ !

أطلقت بيربهان ضحكة مغرية قائلة :

– عين فى الجنة وعين فى النار .

تذكر عبدالعظيم شيئا واستدرك قائلا :

– لكن أين فتنة ؟ !

أجاب ساهر :

– فى المطبخ تشرف على لوازم الأنس والفرفشة .

تكلم مصطفى بك لأول مرة معلقا :

– إنها الدينامو المحرك لبهجة الدنيا . .

قال عبدالعظيم وقد انتشرت السعادة على وجهه :

– أوحشتنى تعليقاتك الميكانيكية :

ضحك توفيق بك لكن عبدالعظيم استدرك قائلا :

– تصور ياتيفة أن عبد الحميد نائب رئيس مجلس الادارة ومدير المصانع أصر فى جلسة اليوم على معرفة السر فى عدم دخول شركتك فى مناقصة عطاء توريد كرتون التعليب برغم أن شروطك أفضل وأسعارك أقل من الشركة الفرنسية . .

قال توفيق :

– وطبعا قلت له ان شركتنا تأخرت فى تقديم التأمين الابتدائى فأصبح عطاؤها كأنه لم يكن .

قال عبدالعظيم :

– عليك نور . .

تساءل توفيق :

– وهل اقتنع ؟ !

حسم عبدالعظيم الموضوع بطريقته :

– لايهم الاقتناع من عدمه . المهم أنه سكت .

دخل مصطفى بك فى الحوار :

– عجيب أمر هؤلاء الناس .. إذا انتهت المناقصة برسو العطاء على شركة أجنبية قالوا وأين الشركة المصرية ؟! واذا تم رسوه على شركة مصرية قالوا إن محركات الاتوبيسات الجديدة قديمة ، وكان يجب توريدها من توكيل أجنبي . احترنا والله ولم يتبق سوى أن ندفن حيرتنا فى عدة كؤوس من الويسكى المثلج .

ضحك الجميع فى اللحظة التى هلت فيها فتنة من المطبخ حاملة صينية عليها كؤوس الويسكى وأطباق المزة : اللوز والفستق والفول السودانى والكافيار والخيار والطماطم وسلاطة الطحينة . كانت فتنة ترتدى فستانا أبيض من الخفة بحيث يكاد يكشف عن الخطوط الخارجية لملابسها الداخلية . انشرح صدر عبدالعظيم لطلعتها البهية فقال :

– هلت ليالى القمر .

وضعت فتنة الصينية على المائدة المنخفضة وهى ترحب بعبد العظيم بك ضاحكة :

– أنت القمر ونحن الليالى .

ضحك الجميع وهم يمدون أيديهم لكؤوس الويسكى . تذكر عبدالعظيم نصيحة زوجته له قبل مغادرة المنزل بألا يشرب وخاصة أن الجماعة الأجانب مغرمون بالشرب فى حفلات الاستقبال والكوكتيل . ابتسم عبدالعظيم عندما وجد مرفت تستكين تحت إبطه ، لكنه شعر أنه ليس فى قمة لياقته النفسية والجسدية .

اختفى ساهر داخل المطبخ وعاد بزجاجات البيرة المغلفة بضباب الثلاجة، فتح أربع زجاجات منها مثل أمهر نادل وصب منها فى الأكواب البلورية الضخمة ففارت الرغوة على جوانبها ، ثم جلس بجوار بوسى .

نظرت فتنة نظرة عتاب مغرية وهى تجلس على شلتة من القطيفة الكحلية اللون فى مواجهة عبدالعظيم . انحسر فستانها الى أعلى ساقها فبدت كتمثال من المرمر على قاعدة من الرخام الكحلى . مسح عبدالعظيم بعينيه ساقيها فأحس بريح دافئة تهب عليه ، استكان لها برغم قيظ يوليو خارج الفيلا . قالت فتنة لعبدالعظيم :

ــ نحن فى انتظار رفع الكأس حتى نشرب فى صحتك .

نسى عبدالعظيم الكأس التى كانت فى يده فاستدرك قائلا :

ــ فى صحتكم جميعا .

رفع الجميع كؤوسهم وتلاقت فى رنين زجاجى موسيقى ، ثم التقت بالشفاه لكن بوسى ظلت ممسكة بالكأس فلمحتها فتنة التى سألتها :

ــ أول مرة ؟ !

فأجابت بالايجاب بايماءة من رأسها ، فقالت فتنة :

ــ كنت مثلك هكذا . لكننى الآن لا أستطيع أن أستغنى عن الكأس أو عن عبدالعظيم بك .

قال مصطفى بك وهو يتناول اصبع كافيار :

ــ يا بخته .

سأله توفيق بك بعد أن كان قد أنهى كأسه :

ــ عبدالعظيم بك .

أجاب مصطفى وفمه لايزال مليئا بالكافيار :

— لا .. الكأس .

ضحك الجميع لكن فتنة لاحظت ما يجرى داخل عبدالعظيم فسألته :

— أشعر أنك لست فى قمة من قممك الليلة ؟

أجاب :

— أبدا .. فقط من تأثير هذا الولد الذى عكر دمى اليوم ..

استنكرت فتنة هذا الكلام . :

— لايصح لحشرة مثله أن تعكر عليك صفو حياتك ! !

قال عبدالعظيم وهو يرتشف رشفة :

— اذا سار على هذا المنوال فسيعكر صفو حياتنا كلنا .

مد مصطفى بك يده لكوب بيرة وأمسكه وقال :

— أصبر على جار السوء إما أن يرحل أو تصيبه مصيبة . .

أضاف عبدالعظيم بك وقد بدا الاشراق على وجهه :

— أفكارك جهنمية . . لابد من هذه المصيبة .

ظهر وميض خفى غامض فى عينى فتنة عندما قالت لعبد العظيم :

— لأزال أتذكر منظره اليوم وهويكاد يلتهم صدرى بعينيه الجائعتين.

علق توفيق بك وهو يقضم قطعة من الخيار . :

— لابد أن نلتمس العذر لمعتاد الطعمية عند مايقترب من الديك الرومى المشوى .

ضحك مصطفى وهو يقول :

– تقصد دجاجة رومية ؟ وأى دجاجة ! !

ثم دق بيده على جبهته بصوت مسموع .

رنت ضحكة فتنة التى شاركت الخمر فى التلاعب برؤوس الرجال ، لكن عبدالعظيم بك لم يشاركها الضحك وبدت عليه ملامح الجدية عندما قال :

– لابد من التخلص منه بحيلة نسائية لم تتعود عليها ثوريته !

أجابت فتنة متعجبة :

– تتكلم كما لو كان عادل قد دخل مجلس الإدارة فعلا ! !

تدخل مصطفى بك :

– إن عبدالعظيم بك الليلة يقدر البلاء قبل وقوعه ؟ !

قال عبدالعظيم بك بعد أن أفرغ كأسا فى جوفه دون الالتفات الى مصطفى :

– إنه فى طريقه اليه !

أكدت فتنة :

– اذا دخل مجلس الادارة .. فسأتولى أنا أمره .. حتى يكون سقوطه عظيما .. أما اذا فعلنا أى شيء الآن فسيبدو أننا دخلنا معه فى صراع انتخابى لا يليق بمستوانا .. وربما جعلنا منه بطلا بهذا الأسلوب . دعه يدخل المجلس حتى نستطيع طرده من الشركة كلها ولن يتعاطف معه أحد بعد ذلك ..

ابتسم توفيق بك معجبا برأى فتنة وقال لعبدالعظيم بك :

– يجب أن تنقل فتنة من درجة سكرتير الى درجة مستشار فنى من الدرجة الأولى .

تحفز ساهر وقال مطمئنا عبدالعظيم بك :

— أما أنا من ناحيتى فسأقلب ضده معظم العمال .

اتسعت حدقتا عبدالعظيم بك وسأل :

— كيف ؟

أجاب ساهر :

— سألعب بالولد شمطة كابتن فريق كرة القدم الذى نحاول تكوينه فى حين يقف عادل ضده بين العمال على أساس أننا حولنا بند محو أمية العمال إلى إنشاء الفريق . وطبعا الأولاد الذين وقع اختيار سيادتك عليهم يحلمون الآن بالأمجاد والأموال ، وعندما يعلمون أن عادلا يقف حجر عثرة فى طريقهم سيقلبون ضده الرأى العام فى الشركة .

ابتسم عبدالعظيم بك سعيدا فى حين قال مصطفى بك له :

— إنى أحسدك ياعبدالعظيم بك على بطانتك هذه . إنها قادرة على إحياء أجمل الليالى ..

استدرك ساهر :

— هل سنقضى هذه الليلة المقترحة فى الحديث حول هذا الولد ؟ ! إنه لو عرف أنه محور كل هذا الاهتمام وعلى هذا المستوى فانه قد يتصور أن الشركة بمن فيها قد أصبحت رهن اشارته :

تدخل مصطفى بك :

— فعلا .. آن الأوان لتغيير الأسطوانة .. والا غلب النعاس الفاتنات الساحرات وخرجنا من المولد بلا حمص .

أشار مصطفى بك بيده الى بيرلهان ومرفت وبوسى بالترتيب . فابتسمن ولم ينطقن بكلمة .

قال عبدالعظيم بك :

— أنا تحت أمركم .

اقترح ساهر أن تقدم فتنة إحدى رقصاتها الساحرة فى حين سيمسك لها الواحدة . نظرت اليه فتنة فى عتاب ودلال لكنه سرعان ماقام وأحضر شالا أحمر أحاط به خصرها وهى جالسة . أخذت منه الشال ونهضت ثم حزمت به ردفيها وبدأ ساهر فى ضبط الايقاع على المائدة أمامه وشاركه الجميع بالتصفيق الايقاعى الذى تجاوبت معه فتنة بردفيها ونهديها .

(٥)

اعتاد عادل أن يقضى صباح الجمعة من كل أسبوع مع خطيبته فى احدى الحدائق أو الكازينوهات أو فى نزهة فوق النيل أو بحذاء ضفته . كانت أشجان تعشق الشمس حتى فى قيظ يوليو ، وخاصة عندما تداعب مياه النيل السمراء وتفرش الحدائق والحقول الخضراء بصفرتها الذهبية ، فتنبعث منها رائحة الطين والمزروعات البكر .

بلغ الأتوبيس النهرى ضفاف حدائق القناطر الخيرية . لفظ ركابه عليها وبينهم عادل وأشجان . سار الى جانبها ممسكا بيدها حتى توغلا وسط الحدائق بعيدا عن ضجيج الزحام القريب من النيل . كانت أشجان سمراء نحيفة . تميل ملامحها إلى الدقة والرقة مثل صور نساء الفراعنة على جدران معابدهم . وكانت ملامحها الفرعونية تتناغم كثيرا مع ملامح عادل الذى يشبه تمثال أحد الفراعنة وقد خرج من المتحف لتوه . نظر عادل اليها ولاحظ لأول مرة أن شعرها الأسود الفاحم أكثر خشونة من شعر فتنة الناعم المسترسل المائل الى الاصفرار . كذلك لم يسترح لعطرها عندما تذكر عطر فتنة . حاول

طرد هذه الخواطر لكن صدر أشجان النحيف أعاد إلى ذهنه مفرق صدر فتنة الأبيض البض محاطا باطار رداؤها النبيذى وهى تنحنى لتصب له المياه الغازية . خرج من خواطره على صوت أشجان وهى تضغط على يده :

— أين ذهبت فى تأملاتك ؟

استدرك قائلا :

— أبدا .. كنت أفكر فيما سيحدث غدا ..

— تقصد الانتخابات ؟ !

— نعم ..

— ستفوز باذن الله ..

قالت هذا وذهبت الى مقعد رخامى يقع أمام حوض للزهور وجلست عليه فتبعها عادل وجلس الى جوارها . قال :

— تصورى أن عبدالعظيم بك أصدر قراراً بعدم تعليق لافتات انتخابية سواء فى المصانع أو القاعات أو الأفنية . كما ألغى الاجتماعات الانتخابية حتى لايتيح لى فرصة الالتقاء الجماعى مع العمال وتكتيلهم .

— أنت لست فى حاجة لمثل هذه اللقاءات . فالعمال يعرفون جيداً من هو المهندس عادل أمين .. حتى العمال فى شركتنا يعرفون عنك الكثير ويتمنون لأنفسهم شابا مثلك يشرف عليهم .

— هل تعتقدين أن الحرب بينى وبين عبدالعظيم بك ستنتهى بدخولى مجلس الإدارة ؟! لأننى فى هذه الحالة سأكون زميلا لهم ..

— بل ستبدأ الحرب الحقيقية .. لأنك ستكون وجهاً لوجه معهم .. لكن لاتعبأ سأقف وراءك بكل كيانى وعقلى وقلبى . بالحب يمكن أن ندك الجبال ونبنى المدن . إنه الحب الذى لايملكونه ..

نظر إلى عينيها السوداوين اللامعتين وبعض قطرات العرق المتلألئة على رقبتها تحت أذنها . كانت عيناه تنطقان بالحب والعرفان، فأمسك يدها وقبلها فى حنان بالغ لكنها سحبتها بسرعة عندما رأت مجموعة من الشباب تقترب من مقعدهما . التزما الصمت حتى مرت المجموعة . قال عادل :

— تصورى الوفد السويسرى الذى قضى أسبوعاً فى مصر على حساب الشركة وزار الأسكندرية ومجاويش والأقصر وأسوان .. تنتهى الزيارة دون أن أقابل أحداً منه برغم خبرتى فى الآلات وصيانتها وأفضل طرق استخدامها؟!

— وأنت الذى صدقت كلام عبدالعظيم بك عندما أغراك بارسالك إلى سويسرا للاطلاع على الآلات التى تنوى الشركة استيرادها .. فى الوقت الذى رفض فيه إدخالك عضوا فى لجنة المشتريات حتى لا تعرف شيئاً عن العمولات والهدايا والإكراميات ؟ !

— الحمد لله أننى لم أنقلك إلى شركتى حسب نصيحة عبدالعظيم بك ، وإلا كنت الآن فى قلب المعركة .

— لا تنس أن توفيق بك رئيس مجلس إدارتنا صديقه الروح بالروح ويمكن أن ينفذ أى طلب له !

— لا أعتقد أنك تشكلين قضية بالنسبة له .

ابتسمت أشجان وهى تمسك يد عادل اليسرى مداعبة :

— ألهذه الموضوعات جئنا خصيصاً إلى القناطر الخيرية ؟ !

— كلما حاولت طردها من ذهنى ، زادت فى إلحاحها على !

— هل لا تزال فتنة تحاول إغراءك ؟!

ـ تتكلمين عن فتنة كما تتكلمين عن حالة الطقس اليوم ؟! ألا تشعرين منها بأية غيرة ؟!

ـ المحب الواثق لاتعرف الغيرة طريقاً إلى قلبه !

رفع يدها إلى شفتيه وقبلها :

ـ لم أر فتنة منذ ذلك اللقاء الصاخب ..

ـ هناك خاطر يلح على ياعادل ليست له علاقة بالغيرة . لكنه يضايقنى برغم إيمانى أن لا أساس له من الصحة ..

سألها عادل فى قلق :

ـ أخاف من الدوامة التى تنوى دخولها أن تجرفك بعيداً عنى ؟ !

التصق بجانبها وأمسك يدها ضاغطاً إياها بشدة :

ـ مهما دخلت الدوامة فستكونين أنت بجوارى . ولن أنسى وعدك بوقوفك بجانبى بكل كيانك وعقلك وقلبك . وطالما قلت لك أن نسرع بكتب كتابنا ثم الدخلة حتى نحسم مستقبل حياتنا فكان ردك دائماً : خض معركة الانتخابات أولا واحسمها ثم دع الزواج يتم فى وقت تكون الأعصاب فيه مستريحة .

ـ لا أريد أن أشتت جهدك فى جبهتين فى آن واحد ..

قبل يدها مرة أخرى :

ـ أنت أعظم فتاة فى الوجود .

فتحت أشجان حقيبتها القش وأخرجت بعض سندويتشات الجبن واللحم وترموس مليئا بالليمونادة . تناول عادل أحد السندويتشات ومعه كوب صغير من الليمونادة . استمر كلاهما فى تناول الطعام والشراب دون كلمة متبادلة.

جاء بعض الأطفال إلى الناحية المقابلة من حوض الزهور وصنعوا دائرة فى حين وقف أحدهم فى مركزها يدور مع دائرة الأيدى المتشابكة. كان منظرا الأطفال مبهجا بألوان ملابسهم الزاهية وضحكاتهم البريئة المجلجلة : بتسمت شجان عندما وجدت إحدى البنات ترتدى فستانا أخضر فى نفس لون فستانها وقماشه . ابتسم عادل بدوره فظنت أنه يبتسم لنفس الخاطر لكنها وجدت سخرية مريرة سرعان ماارتسمت على ملامحه وشكلها . لاحظ عادل علامات الاستفهام على وجه أشجان فقال مفسراً :

– كنت أضحك فى نفسى عندما تذكرت أن شركتنا أعطت أعضاء الوفد السويسرى فى حفلة قبل سفره ساعات سويسرية كهدايا ، لأن عبد العظيم بك رأى أن هدايا خان الخليلى أصبحت موضة قديمة .

– ها قد عدنا لى هذه السيرة مرة أخرى ؟ !

– مجرد خاطر عابر ..

– أما أنا فكنت أفكر فى خاطر بهيج !

– أنا فى أشد الحاجة إلى البهجة ..

أشارت أشجان لى طفل جميل لايتجاوز عمره السنوات الأربع ، يرتدى حلة حمراء فى حين تدلت خصلات شعره على جبهته وهو يدور فى الدائرة مع الأطفال وقالت :

– أتمنى أن يرزقنا الله بطفل جميل مثل هذا ..

ابتسم عادل وقال :

– أما أنا فأتمنى أن يرزقنا الله بطفلة جميلة مثل هذه .

وأشار إلى الطفلة التى ترتدى فستانا أخضر مثل فستان أشجان .

ضحكت شجان ومالت برأسها إلى الخلف فى دلال :

— لن نتشاجر . سيجيب الله طلبنا ونرزق بابن وابنة .

انتهى عادل من الساندويتش . أعطى الكوب لأشجان فوضعته فى الحقيبة ونهضا ت واحد دون اتفاق . أمسك عادل بيدها وسارا حتى أصبحا على مقربة من الأطفال الذين أرادوا ممارسة الشقاوة فاذ بعادل وأشجان فى مركز الدائرة والأطفال يدورون حولها ويضحكون . ضحك عادل وأشجان من الأعماق واجتاحها إحساس جارف بأنها قد اغتسلا من الداخل . آه لو استطاع البشر الاحتفاظ ببراءتهم عندما يكبرون ويدخلون دنيا الصراع والطعن فى الخلف والضرب تحت الحزام .

تمنى عادل أن يتوقف الزمن فى حين يستمر دوران الأطفال ورنين ضحكاتهم . لكن سرعان ما انفرط عقدهم عندما نادت عليهم أسرهم المتجمعة عند مسافة قريبة منهم . أمسك عادل بيد أشجان ضاغطاً عليها كأنه يخاف عليها من أن تتلاشى . سارا معاً نحو الخلاء الأخضر بمرتفعاته ومنخفضاته الناعمة حتى ظهر النيل يسير فى خلوده صامتا مهيبا جليلا ، يداعب القناطر فى حنان ووقار ثم يستأنف مسيرته الأبدية ، ففاضت نفس عادل حبا لأشجان.

(٦)

يوم الانتخابات . التوتر يسود العاملين فى الشركة ويصل إلى قمته كى يتركز داخل عبد العظيم بك الذى طلب من فتنة وساهر موافاته أولا بأول بالنتائج التى كانت تؤكد لحظة بعد أخرى نجاح عادل . كان عبد العظيم بك يدخن فى شراهة لم يعهدها منذ أيام الشباب الأولى . فقد تأكد أن نفوذه المطلق داخل مجلس الإدارة لن يعود سيرته الأولى . لم تكن النتائج المتتابعة تبشر بالخير لدرجة أنه ألغى كل مواعيد ولقاءات هذا اليوم، بل ورفع سماعة التليفون وظل يذرع غرفة مكتبه جيئة وذهابا متأسفاً لما آلت إليه حاله . كيف لولد مثل عادل أن يهزه هكذا من جذوره ؟ ! حاول التماسك — على الأقل أمام فتنة وساهر — لكن تظاهره باللامبالاة والثقة كان مفتعلا إلى حد كبير .

كان عم جعفر يتنقل كالنحلة بين مقر اللجنة الانتخابية التى تقوم بالفرز وبين مكتب رئيس مجلس الادارة . وأخيرا دخل المكتب مندفعا دون طرقة واحدة أو استئذان . كان عبد العظيم بك واقفا وسط الغرفة وقد ملأها دخانا متصاعدا من فمه وأنفه . سعل عم جعفر بشدة ووقف لاهثا أمام عبد العظيم بك الذى سأله :

– ما الأخبار يانحس ؟ !

– الأخبار ياسعادة البك لاتسر حبيبا ولا عدوا . لم يتبق أكثر من مائة صوت لن تؤثر فى النتائج النهائية . .

– وما النتائج النهائية ؟ !

– سقط عبدالحميد بك وعبدالقادر بك وعبدالمنعم بك ، وفاز بمعظم الأصوات المهندس عادل ومعه الأستاذ سالم المحامى والأسطى عباس رئيس ورشة الصيانة عن العمال والعاملين .

صرخ عبد العظيم بك فى جعفر الذى انتفض هلعا :

– اخرج .. لا أريد أن أرى وجهك ..

تراجع عم جعفر بظهره حتى وجد نفسه خارج الغرفة فى حين وقف على بابها كل من فتنة وساهر اللذين دخلا فوجدا عبد العظيم بك واقفا مستندا إلى مكتبه وجسمه ينتفض .. أسرعت اليه فتنة وأمسكت بيده وكادت تأخذه بين أحضانها الى أن أجلسته على مقعده، فى حين أسرع ساهر وأحضر كوبا من الماء المثلج وضعه على المكتب أمامه . ظلت فتنة تربت على كتفى عبد العظيم بك وطلبت من ساهر غلق الباب .

قالت له :

– لايعقل يا عبد العظيم بك أن تفعل بنفسك ما تفعله . كل شىء سيكون على مايرام كما وعدتك .

تدخل ساهر :

– ربما استطعنا احتواءه وتحويله إلى عضو نشيط فى البطانة !

تساءل عبد العظيم :

– كيف وهو يظن أنه رسول العناية الالهية لانقاذ المضطهدين فى الشركة ؟

قال ساهر :

– كل شىء ممكن . وقد علمتنى التجارب أن لكل نسان مدخلا . وليس علينا سوى أن نعرف هذا المدخل .

تساءل عبدالعظيم مرة أخرى بأسلوب آلى :

– وكيف نعرف هذا المدخل ؟ !

أجاب ساهر :

– استدعه وتفاهم معه بطريقة جديدة قد تروق له .

ابتسمت فتنة مقاطعة :

– وخاصة أنه يستمتع بالنظر إلى . فقد حرمته خطيبته من كل ما أملك.

أضاف ساهر :

– وربما تغير سلوكه الثورى إلى سلوك عضو مجلس ادارة عتيد . فلا يوجد شىء فى الدنيا يستطيع أن يغير الانسان مثل الثروة أو المنصب .

أضافت فتنة :

– ولاتنس ياعبد العظيم بك أن معك أربعة أصوات ضد ثلاثة على أسوأ الفروض .

كان تنفس عبد العظيم قد استراح قليلا . فقالت فتنة :

– سأذهب بنفسى لأهنئه بالنجاح وسآتى به إلى مكتبك .

نظر إليها عبدالعظيم نظرة طفل حائر ثم هز رأسه موافقا . خرجت مدام فتنة ببنطلونها الأبيض الضيق وبلوزتها السوداء التى تصر على كشف مفرق

صدرها البض الأبيض ، وحذائها ذى الايقاع المنتظم الرقيق . سارت فى الممرات بين المكاتب فتظاهر بعض الموظفين بالانشغال قرب الباب لكن أعينهم تابعتها حتى اختفت . حيت فتنة كل من قابلتهم بابتسامة أو إيماءة أو كلمة ، والجميع فى دهشة لهذه البهجة المفاجئة التى هبطت عليها فى الوقت الذى طرد فيه أعوان رئيس مجلس الادارة من المجلس .

هبطت مدام فتنة درجات السلم وعبرت الفناء الذى يفصل الادارة عن المصانع .. سارت فى الممر الذى يفصل بين مصنع الفرز ومصنع التعبئة . تجسدت الدهشة فى ملامح العمال الذين متعوا أعينهم بطلعتها البهية ، فلم يألفوا وجودها بينهم .

بلغت معمل التحليل فوقفت فى مدخل الباب مبتسمة وهى تشاهد عادلا ورأفت وعم درويش ومعهم المحامى سالم مدير الشئون القانونية والأسطى عباس رئيس ورشة الصيانة وحولهم بعض العمال المهنيين الذين اندمجوا فى حوار حماسى لم يشعرهم بوجود فتنة التى كانت تظن أنهم سيلتفتون اليها فور ظهورها . تقدمت فى جرأة بحيث وقفت خلف الدائرة تماما . لمحها عم درويش فثبت عليها عينيه مشيرا للجميع بالصمت . التفتوا مع عينيه فانعقدت الدهشة فى أعينهم ، لكن عادلا أحس فى الحال بمناورة جديدة فقال لها فى شبه تهكم :

- خطوة عزيزة يامدام فتنة .

قالت فتنة بجرأة يحسدها عليها أشجع الرجال :

- ألف مبروك يا باشمهندس ..

رد عادل والجميع يتابعون الحوار فى دهشة مثيرة :

- بارك الله فيك .. هل كلفت نفسك مشقة المجيء إلى هنا لتقديم أسمى آيات التبريك فقط ؟ !

لم تتراجع أمام سخريته الخفية بل استأنفت :

— وعبد العظيم بك أيضا يريد أن يهنئك — إنه يؤمن بالمنافسة الشريفة ولا يحب أن يأخذها الآخرون على محمل العداء .

قال عادل بلهجة دبلوماسية مهذبة :

— أشكر لعبد العظيم بك هذه الروح . هل أذهب إليه الآن ؟

أجابت على الفور :

— نعم .. الآن !

— تفضلي ..

أشار عادل لفتنة بالتقدم أمامه . سارت بإيقاع حذائها الرشيق وتبعها وسط ذهول الجميع الذين ظن بعضهم أنه سيرفض لقاء رئيس مجلس الادارة .

عادت فتنة أدراجها ومعها عادل . حرصت على إظهار ابتسامتها العريضة وكأنها تتحدث معه فى موضوع خاص جدا . تضاعفت دهشة الذين شاهدوها فى طريق ذهابها فلم يتوقعوا أن تعود بعادل إلى رئيسها وهو فى قمة انتصاره .

دخل عادل مكتب عبدالعظيم بك وراء فتنة التى أعلنت مقدمه بلهجة مسرحية راقية :

- سيادة المهندس عادل أمين .

نهض عبد العظيم بك مسرعا وشد على يد عادل بحرارة مرحبا به فى حين ضحكت فتنة قائلة :

- هذا لايكفى .. ليس أروع من التهنئة بالأحضان .

نفذ عبدالعظيم اقتراحها على الفور واحتضن عادلا بقوة واهية قائلا :

- ألف مبروك .. ما أروع أن يصر الشباب على تحقيق أهدافه ! ! من الآن فصاعدا اعتبرنى فى منزلة أبيك أو حتى أخيك الأكبر .

جلس عبدالعظيم بك فجلس عادل على نفس مقعد المقابلة السابقة العاصفة دون أن ينبس ببنت شفة . قال عبدالعظيم :

- أرجو ألا تترك المقابلة السابقة أى أثر سيء فى نفسك !

تكلم عادل لأول مرة :

- تعودت ألا أضع الجانب الشخصى فى اعتبارى . .

دخل ساهر حاملا علب المياه الغازية المستوردة فى بهجة زائدة على الحد وقام بصبها فى كوبين أمام عبد العظيم بك أولا ثم أمام عادل وهو يهنئه ويهنئ الشركة بالفوز العظيم . ثم تراجع واختفى خارجا فى حين ظلت فتنة واقفة ببنطلونها الأبيض الضيق وبلوزتها السوداء الجريئة فى مواجهة عادل .

قال عبدالعظيم لعادل :

- إنى أحب شيئا إسمه روح الفريق .. وأحب لمجلس الإدارة الجديد أن يصبح فريقا واحدا متعاونا .

لمح عادل فتنة فى وقفتها لكنه تجاهلها وقال لعبد العظيم :

- روح الفريق أفضل أسلوب طالما أنه من أجل الصالح العام .

مرت سحابة عابرة من الجهامة على وجه عبدالعظيم لكنه قال :

- وطالما أننا مسلحون جميعا بالصراحة والصدق من أجل الصالح العام

فانى أود مناقشتك على انفراد فى كل ما تصبو اليه نفسك حتى لاتحتكر وقت اجتماعات المجلس فى مناقشاتنا الثنائية التى أعتقد أنها ستطول .

نظر عادل حيث تقف فتنة فوجدها تلاشت وأغلق الباب وساد الصمت المشحون بالقلق والتوتر والتوقع الذى قطعه عادل :

— أليس من الطبيعى أن تتم جميع المناقشات فى حضور باقى الزملاء فى مجلس الادارة حتى توضع وجهات النظر كلها فى الاعتبار ؟ !

— مادمنا قد اتخذنا من الصراحة والصدق أسلوبا فانى أقول لك إن المجلس هو أنا وأنت .

ارتسم التعجب الممزوج ببعض الذهول على وجه عادل لكن عبد العظيم أضاف شرحه لوجهه نظره :

— إنى ضامن رأى كل من عبد الحميد نائب رئيس مجلس الادارة ومدير المصانع ، وعبد المعطى رئيس قطاع الشئون الفنية والمشروعات ، وعبدالحق رئيس القطاع المالى والتجارى : وأعتقد أنك بدورك ضامن لكل من سالم رئيس الشئون القانونية وعباس رئيس ورشة الصيانة :

أجاب عادل بحسم :

— صحيح أن سالما وعباسا من أعز الأصدقاء والزملاء لكننى لا أستطيع أن أفرض رأيى عليهما !

— لم أقل تفرض رأيك ! وإنما قصدى انكم تشكلون وجهة نظر واحدة كما نشكل نحن وجهة نظر واحدة .

— اسمح لى أن أقول إن سياسة « أنتم ونحن » يمكن أن تؤدى الى صراعات تفقد المجلس فاعليته الحقيقية :

— وهذا ما أريد تجنبه بالاتفاق بيني وبينك !

— ولماذا لانكون كلنا « نحن » من أجل الصالح العام ؟ !

— إيماني بالممارسة الديمقراطية لايتزعزع .. ولذلك أرى ان اختلاف وجهات النظر مفيد فى كشف السلبيات ..

ابتسم عادل ابتسامة متعجبة من تمسح عبد العظيم بك المكشوف بشعارات الديمقراطية فى حين أنه يريد توجيه الشركة كلها بحركة من أصبعه .

قال عادل :

— يسرنى سماع تأكيد سيادتك على ضرورة الممارسة الديمقراطية . .

— اذن اتفقنا . .

— على ماذا ؟ !

— على أن رأى الأغلبية هو السائد فى النهاية دون أضغان أو أحقاد أو حزازات أو حتى حساسيات ..

— لاجدال فى ذلك . .

استدرك عبدالعظيم بك قائلا :

— على فكرة .. اعمل حسابك على السفر معى فى رحلة سويسرا فى أوائل الشهر القادم .. سنستورد أحدث ما وصلت اليه التكنولوجيا فى مجال إنتاج الألبان والجبن ..

أحس عادل بالمزلق الجديد فقال كاشفا عن أوراقه :

— هناك قضايا لابد أن تحسم أولا ..

اتسعت عينا عبدالعظيم بك وحك أنفه بيده فى عصبية وقال :

– أرحب بكل القضايا التي تريد حسمها !

اعتدل عادل في مقعده مواجها لعبد العظيم مباشرة وقال :

– الشروع في انشاء فريق لكرة القدم تابع للشركة أشاع الاستياء وسط صفوف العمال لتحويل بند محو الأمية اليه . كذلك تخفيض حوافز العمال للمساهمة في شراء الأرض الخلاء المجاورة لاقامة الملعب والنادي جعل العمال يتساءلون بحق : ما علاقة انتاج الألبان والجبن بكرة القدم ؟ إن غاوي الرياضة يستطيع أن يمارسها حيث يشاء لكن ليس على حساب غيره .

كبت عبدالعظيم بك بوادر حنقه وسأل :

– وماذا أيضا ؟ !

انتهز عادل الفرصة كي يبكر بالمعركة حتى لا يستهلكه عبد العظيم بك في المناورات التي يجيد لعبها . قال :

– كذلك يريد العمال تحويل كل بنود الكماليات الى الضروريات ..

– وما هي الكماليات وما هي الضروريات في نظرهم ؟ !

– الكماليات هي كل المظاهر التي يمكن الاستغناء عنها ..

– مثل ؟ !

– الهدايا التي توزع على العملاء يجب أن توقف لأن هديتنا الحقيقية هي جودة انتاجنا . كذلك الاعلانات في الصحف والتليفزيون يجب أن تكون فقط عن السلع التي لم يتعرف عليها الجمهور بعد . أما الاعلان لمجرد ذكر الشركة فمصاريف لا لزوم لها .

– وماذا أيضا ؟ !

ـ كذلك يجب أن تكون أولوية التعامل مع الشركات المصرية والعربية • مع ضغط مصروفات السفريات والبدلات وتخفيض عدد أعضاء الوفود الى الخارج ..

حاول عبدالعظيم بك أن يضع للمناقشة حدا فقاطعه :

ـ وماذا عن الضروريات ؟

ـ انشاء دار حضانة لأطفال العاملين والعاملات الذين لايجدون أحدا يتركون عنده أطفالهم ..

ـ طلب معقول . .

ـ واقامة وحدة للأمن الصناعى حتى نتجنب إصابات العمل بقدر الامكان ..

ـ ممكن ..

ـ انشاء عيادة داخلية للحالات التى يمكن علاجها مع مضاعفة عدد الأطباء العاملين فى الشركة ..

ـ وماذا أيضا ؟ !

ـ الاسراع فى فتح فصل محو الأمية ::

نهض عبدالعظيم بك من مكانه فلم يعد يحتمل أكثر من هذا وقال لعادل الذى نهض بدوره شاعرا أن المقابلة انتهت :

ـ عندك حق . :

ـ فيا قلته ؟ !

ـ لأ .. فى أن المناقشات يجب أن تتم فى حضور أعضاء مجلس الادارة حتى نأخذ رأيهم فى الاعتبار !

- هذا ما قلته منذ البداية ولم توافقني عليه ..

- كنت مخطئا .. وعموما فاجتماع مجلس الادارة الجديد فى أول الأسبوع القادم .

مد عادل يده للسلام فأحست بيد مترددة متعالية :

- شكرا .. السلام عليكم ..

خرج عادل فوجد ساهرا وفتنة واقفين بالباب . لم يعبأ بهما وسار مسرعا والجميع يطلون عليه من نوافذ مكاتبهم وأبوابها لا يعلمون ماذا يجرى على وجه التحديد ؟

بلغ عادل معمل التحاليل فوجد المجموعة كما هى لم تنفض . سرعان ما التفوا حوله سائلين بشغف عما جرى . فقص عليهم كل شيء بالتفصيل وأنهى حكايته بقوله :

- فلنتوقع صراعا معهم بكل الأسلحة !

عندئذ تدخل رأفت فى الحديث :

- اذا استخدم عبدالعظيم بك الأسلحة القذرة فإننى اكتشفت بالأمس فقط سلاحا يمكن أن يقضى عليه تماما ..

سأله الجميع وعلى رأسهم عادل :

- ماذا اكتشفت ؟

- اكتشفت أن عبدالعظيم بك يقضى سهرة الخميس من كل أسبوع فى فيلا ساهر بك ومعه صديقان آخران وبعض الفتيات صغيرات السن ..

سأل عادل :

– هل معلوماتك أكيدة ؟ !

– تماما :

– وكيف حصلت عليها ؟ !

قال رأفت ضاحكا :

– هذا سر المهنة ! : ومن يشك عليه أن يثبت العكس !

(٢)

[illegible]

(٧)

غادر عبدالعظيم بك مقر الشركة والحنق يمسك بخناقه . لم يشأ ساهر وفتنة أن يتركاه بهذه الحال : ركبا معه العربة المرسيدس السوداء .. فتنة بجواره وساهر بجوار الأسطى ربيع . همست فتنة فى أذنه :

— سبق أن قلت لسيادتك لا تعبأ فأنا كفيلة به . . ولدى خطة .

قاطعها عبدالعظيم بك هامسا ومشيرا خفية باصبعه تجاه السائق :

— فلنؤجل المناقشة حتى نصل الى المنزل :

انطلق الأسطى ربيع بالعربة صوب منزل عبدالعظيم بك . كانت الساعة قد قاربت الرابعة عصرا . وكان زحام الشوارع على أشده ووقفت العربة فى كل اشارة مرور حوالى عشر دقائق مما جعل عبدالعظيم بك يشعر بالاختناق على الرغم من الهواء المكيف داخل العربة : الأتوبيسات المكتظة بالناس لم تثر تعاطفه معهم بقدر ما أهاجت ضيقه واشمئزازه .. نظر الى فتنة فوجدها مركزة عينيها عليه فى حنان وشوق . أصيلة هذه السيدة . لا أعرف ماذا أفعل بدونها ؟ ! إنها تمنحنى كل شىء دون أن تطلب شيئا ! قد تستغل مركزها فى مكتبى لقضاء حاجاتها وحاجات الأسرة والأصدقاء . ولكن جحا أولى

بلحم ثوره . أما ساهر هذا فهو مدفعي الرشاش الذي أوجهه الى صدر كل من يتحداني . إنه يجيد المناورة والتحرك مثل الماء تحت التبن ، وعلاوة على ذلك فهو ملك المزاج والأنس . إنه يمنحني مفتاح شقته لأتصرف فيها كأنها ملكي . إنه العازف الأول في فرقتي في حين أن فتنة هي القيثارة التي أشد أوتارها وأعزف عليها أعذب الألحان . أما عبد الحق فهو مايسترو القطاع المالي والتجاري الذي يجعلنا نفعل كل شيء بالقانون . أما هذا الولد المسمى بعادل فهو النشاز المزعج وسط هذه السيمفونية الرائعة . لقد تحول الى بؤرة صديدية في حياتي لا سبيل للتخلص منها إلا بالجراحة . يكفيني أمراض القلب والسكر والضغط .

خرج عبدالعظيم بك من خواطره عندما توقفت العربة وخرج منها الأسطى ربيع مسرعا ليفتح الباب له أمام باب العمارة التي يقطن بها . خرج وخلفه فتنة وساهر . وقف الثلاثة في انتظار هبوط المصعد . قال ساهر لعبد العظيم بك :

– كنت أود أن يحضر معنا عبدالحق بك . فان خبرته في الشئون المالية والإدارية لا تبارى . ومن السهل أن يكتشف لنا كهوفا يمكن أن ندخل فيها عادلا بلا عودة .

أجاب عبدالعظيم بك وقد غلبه الإجهاد :

– سيلحق بنا في عربته . .

هبط المصعد وركب الثلاثة صامتين واجمين . توقف أمام الشقة فخرجوا وعالج عبدالعظيم بك الباب بأحد مفاتيح السلسلة فلم يستجب . تبادل ساهر وفتنة نظرة بها ظل عابر من السخرية . غير عبدالعظيم بك المفتاح فانفتح الباب ودخل الثلاثة . كانت زوجة عبدالعظيم تقف بالقرب من الباب عند فتحه :

حياها زوجها فى اقتضاب وطلب منها تجهيز الغداء لأربعة اشخاص . دخلت المطبخ مسرعة لتنفيذ الأوامر دون أن تنظر الى كل من فتنة وساهر — فتح عبدالعظيم بك باب غرفة الصالون ودخل الثلاثة واغلقت الغرفة عليهم . الصالون مذهب فاخر من طراز لويس السادس عشر ، والسجادة تبريزى لكن اللوحات المعلقة على الجدران تنم عن ذوق فنى متخلف !

جلس كل من فتنة وساهر فى مواجهة عبدالعظيم بك الذى أسرع بفتح علبة السجائر الكبيرة وقدم منها لساهر وفتنة — أسرع ساهر باخراج الولاعة وأشعل سيجارة رئيسه ثم فتنة ثم سيجارته فى النهاية . امتلأ سقف الصالون بالدخان المتصاعد من الأفواه والأنوف الثلاثة .

قطع عبدالعظيم بك الصمت :

— لابد من حسم موضوع هذا الولد . فقد تحول إلى شوكة فى ظهرى .

أسرع ساهر بالاستجابة :

— كلما كان نزع الشوكة أسرع ، كانت المضاعفات أقل :

ابتسمت فتنة ابتسامة خبيثة وقالت :

— سأوجه الى هذا الولد إحدى ضرباتى القاضية ..

لم يقتنع عبدالعظيم بك بهذه الكلمات التى أطلقت على سبيل التشجيع وطلب منها خطة محددة . سأل ساهر . .

— ماذا ستفعل بالضبط يا ساهر ؟

— سأحتوى شمطة كابتن الفريق تماما . وسأجعله يقوم وسط العمال بحملة شعواء ضد عادل بمساعدة أعضاء الفريق الذين لابد أنهم شعروا بخطورة عادل على آمالهم فى الأمجاد الكروية ●

ـ فكرة لا بأس بها لكنها ربما أخذت وقتا طويلا قد لا يحتمله الموقف الآن .

قال عبدالعظيم بك هذا والتفت سائلا فتنة :

ـ وأنت يافتنة . ما هي ضربتك القاضية والسريعة ؟

قفزت فتنة قائلة بمزيج من السخرية :

ـ بعد أن أصبح عادل بك عضو مجلس إدارة فى غفلة من الزمن . . لابد من تعيين سكرتيرة له . وأنا أرى فى دلال سكرتيرة عبدالمجيد بك الذى خرج من المجلس خير سكرتيرة لعادل بك .

قال عبدالعظيم بك مستفهما :

ـ لماذا دلال بالذات ؟ هل لأنها صديقتك الحميمة ؟ !

ـ إنها فتاة جريئة وتستطيع أن تطرد عادل بك خارج الشركة . . هذا إذا لم تضعه بيدها فى السجن !

ومضت عينا عبد العظيم بك اللتين ركزهما على عينى فتنة . :

ـ إنك ملاك الرحمة الذى جاء فى آخر لحظة لينقذنى من هذا الجحيم .

استطردت فتنة :

ـ لكن لابد من تمويل دلال مقابل كل عملية . . لأنها لاتفعل شيئا لوجه الله !

تدخل ساهر فى الحوار :

ـ التمويل أمره سهل . أما التنفيذ فيجب أن يكون محكما ولا يحمل أية شبهة . . .

قال عبدالعظيم بك لساهر :

— عندك حق . .

قالت فتنة :

— الخطة كالآتى . . تشيع دلال فى المكاتب بين الموظفين أن عادل بك قد وقع فى غرامها . وسيصدقها الجميع لجمالها الصارخ . ثم تؤكد لهم أنه بدأ فى مطاردتها بالحاح . لكنها لن ترضخ له لأنها شريفة ولا ترضى بأى علاقة إلا فى الحلال . ثم تدبر موقفا تصرخ فيه فى مكتبه فى نفس اللحظة التى يفتح فيها جعفر الباب ويدخل كشاهد إثبات ليؤكد فى التحقيق بعد ذلك أن عادل بك حاول الاعتداء على دلال فى مكتبه بدليل ملابسها الممزقة .

لم يتمالك عبدالعظيم بك نفسه ونهض من مكانه مندفعا نحو فتنة ومقبلا إياها فى خدها . جلس بجوارها وقال :

— إن العقل الالكترونى فى الشركة لايستطيع أن يصل إلى عبقريتك .

دق جرس باب الشقة .سمعت أقدام ثم فتح الباب وبعد لحظات دقات على باب الصالون الذى فتح ودخل الأستاذ عبد الحق بصلعته المنيرة . أغلق الباب وحيا الجميع .جلس بجوار عبدالعظيم بك واضعا حقيبته فوق السجادة وقد علت الجهامة وجهه وتركزت فى عينيه الصغيرتين المختفيتين خلف نظارته السلكية الضيقة الداكنة . سأله عبدالعظيم بك :

— ما الأخبار ؟

— الأخبار ليست على ما يرام . قضيت أربع ساعات كاملة فى فحص ملفه فلم أجد مجرد إنذار أو حتى لفت نظر منذ تعيينه حتى الآن . بعد ذلك

قمت بفحص معظم الأوراق التى قام بالتوقيع عليها فوجدتها كلها مطابقة للوائح والقوانين ، بل إننى اكتشفت ما هو أمر وأدهى !

سأله عبدالعظيم بك بلهفة :

ــ ماذا اكتشفت ؟ !

ــ اكتشفت أنه كان يساعد بعض العمال المحتاجين من جيبه الخاص برغم فقره . كما يزور المرضى منهم فى بيوتهم ويلبى طلباتهم .

تدخلت فتنة :

ــ لاعجب فى أن يصبح معبودهم !

سأل عبدالعظيم بك عبدالحق :

ــ وما الذى تقترحه يا عبدالحق ؟ !

ــ الحل الوحيد أن نجعله يمضى على عدة أوراق صحيحة بينها ورقة غير صحيحة يمكن أن تجر رجله الى مشاكل لاحصر لها .

قال ساهر :

ــ انه من اليقظة بحيث لاتجوز عليه لعبة مثل هذه !

وصلت رائحة شواء اللحم من المطبخ الى أنف الأستاذ عبد الحق فسال لعابه داخل فمه المغلق لكنه اضطر إلى فتحه ليجيب ! :

ــ إذاً لامفر من التفكير فى خطة أكثر إحكاما .

حسم عبدالعظيم بك الموضوع بقوله :

ــ لا أرى خطة خيرا من تلك التى رسمتها فتنة .وسنقوم بتنفيذها الأسبوع القادم .

سأله عبدالحق :

— وهل لى دور فى هذه الخطة ؟ !

— شكرا يا عبدالحق .. خدماتك سابقة ..

— ولاحقة إن شاء الله ..

— بهذا أستطيع أن أقضى سهرة الخميس القادم وأنا مرتاح الضمير !

قال ساهر لعبد العظيم بك :

— متعك الله دائما براحة الضمير والبال . لكن هل تعلم سيادتكم أن زواج عادل سيتم مساء الخميس القادم من خطيبته أشجان ؟ !

أجاب عبدالعظيم بك ساخرا فى تساؤل :

— وهل تريدنى أن أرسل له زهورا مع بطاقة تهنئة ؟ !

قال ساهر :

— هذا هو ما أريده من سيادتكم تماما حتى لايشعر بالأيدى التى تلعب فى الخفاء ..

ابتسم عبدالعظيم بك قائلا :

— يالك من شيطان ناعم ! !

ضحك ساهر معلقا :

— اننى لا أستطيع أن أنضم إلى حزب ملائكة الرحمة الذى تتزعمه فتنة !

أضاف عبدالعظيم بك قوله :

— ستكون سهرة الخميس القادم سهرة الأنس كله .

ثم نهض داعيا إياهم الى غرفة الطعام لتناول العداء فأسرع الجميع خلفه .

(٨)

از دانت قاعة نادى العمال فى شبرا الخيمة بالأنوار والأعلام الصغيرة ، هبت نسمة هواء رقيقة من الحقول البعيدة فلطفت من بقايا بصمات شمس يوليو . تحول النادى الى خلية تحرك فيها عمال الشركة الذين جاءوا بدافع الحب للمساهمة فى حفل زواج عادل من أشجان . كان عم درويش على رأسهم يوجه هذا ويرشد ذاك إلى طريقة ترتيب المقاعد بحيث لاتعوق حركة الداخلين والخارجين . تحرك عادل وفى ظله رأفت بين باقات الورد والزهور التى وردت الى القاعة فلفت نظره بطاقة عبدالعظيم بك على باقة ضخمة . ابتسم رأفت وقال محذرا عادل :

ـ لا تصدق هذه الألاعيب الناعمة . إن الحدأة لا تلقى بالكتاكيت . .

علق عادل معاتبا رأفت فى رقة :

ـ إن الرجل يجاملنا ومن واجبه علينا أن نرد المجاملة . .

ـ إياك أن تعتقد أن المؤامرات قد إنتهت ضدك .. بل إننى أعتقد أن هذه التهنئة لابد أن يكون ستارا لمؤامرة جديدة تدبر فى الخفاء .

– لاتكن سيء الظن الى هذا الحد . .

– إنهم مجتمعون الليلة فى شقة ساهر بالمعادى . ولابد أنك ستكون موضوعهم المفضل . . ولا أعتقد أنهم سيذكرونك بالخير . .

– ألم تجد يا رأفت موضوعا سوى هذا كى تكلمنى فيه يوم فرحى !؟

ابتسم رأفت معتذرا وقال :

– آسف . . اترك لى الموضوع كله فهو مسئوليتى . أما أنت فركز فكرك فى هذا اليوم التاريخى فى حياتك .

نظر عادل فى ساعته قلقا وهو يقول :

– الساعة الآن التاسعة والنصف . لقد تأخرت أشجان نصف ساعة . .

طمأنه رأفت :

– أنت تعرف جيدا زحام شوارع شبرا . .

جاء عم درويش وقال لعادل والعرق يتصبب من جبينه :

– كل شيء أصبح جاهزا . حتى المأذون وصل وأدخلناه الغرفة الجانبية للعقد : .

ابتسم عادل ابتسامة كلها عرفان بالجميل وقال :

– قدرنا الله يا عم درويش على خدمتك فى أفراح أبنائك .

– أفضالك السابقة واللاحقة غمرتنا من رؤوسنا إلى أقدامنا .

أخرج عادل منديله الأبيض وجفف قطرات العرق على جبهته . بدا نحيفا أنيقا فى حلته السوداء وقميصه الأبيض الناصع وحذائه الأسود اللامع . كان على وشك أن ينظر الى ساعة يده مرة أخرى عندما سمع ضجيج أبواق عربات

بالخارج فهرع رأفت وخلفه عادل وعم درويش. عند الباب وصلت سيارة العروس . هبط أبوها ثم مد ذراعه فاستندت إليها أشجان وهى تهبط فى ثوبها الأبيض الطويل الذى بدت فيه أشد نحافة واسمراراً : ابتسم عادل وأسرع بامساك يدها وخلفها أمها تطلق الزغاريد يمنة ويسرة ،وأختها ترش الملح على رؤوس السائرين الى داخل القاعة . وكان العمال والعاملات قد كونوا فرقة موسيقية راقصة سبقت العروسين الى الكوشة ، فبدت كاحدى فرق الفنون الشعبية .

تم العقد فى الغرفة الجانبية وكان رأفت من شهوده : وبعد أن استوى عادل على كرسيه بجوار أشجان تحولت القاعة الى كتلة من الزغاريد والضحكات والدفوف والصاجات . ومال عم درويش على أذنعادل وقال :

ـ أكثر الله من أفراحك وأفراحنا..إننا نحتفل الليلة بفرحكوبدخولك مجلس الادارة .. حفظك الله أنا .:

ابتسم عادل ابتسامة كلها عرفان بالجميل وربت على يد عم درويش :

ـ حفظكم الله لى .. إنكم دنياى وحياتى ::

ابتسمت أشجان متأثرة بالحديث الدائر بين عادل ودرويش : جاء رأفت وهو يكاد يرقص فرحا وأسر إلى عادل فى أذنه :

ـ عن إذنك يا عريسنا .: ربع ساعة وسأعود فورا ::

ـ الى أين ؟ !

ـ مهمة سريعة . لا تشغل نفسك بى ؛ ؛

(٩)

سهرة الخميس : سهرة الأنس والبهجة : جلس الجميع على الحشايا والوسائد فوق السجاد الفاخر : دارت فتنة بفستانها الوردى الهفهاف تصب الويسكى فى الكئوس فى حين انهمك ساهر فى فتح زجاجات البيرة وتوزيع المزة على الأطباق : انهمك توفيق بك فى مداعبة مرفت فى شعرها بسيف من البلاستيك الصغير الذى يستخدم فى التقاط المخللات ، فى حين قبعت بوسى تحت إبط مصطفى بك وهو يضع فى اصبعها خاتما من الماس الذى أهداه اليها . أما عبدالعظيم بك فقد استغرق مبتسما بين ذراعى بربهان التى ارتدت فستانا يكشف أكثر مما يستر . قال عبدالعظيم بك وهو يدخن سيجارا فاخرا :

— على الرغم من أننى أشعر بالاجهاد .: وأن ضربات القلب غير منتظمة :. لكننى كلما تذكرت خطة فتنة شعرت كأنها قامت بتدليك جسمى المتعب .

احتوته بربهان بين ذراعيها البضتين العاريتين وهى تشير إلى كل من مصطفى بك وبوسى :

— ما أغلى الإعزاز عندما يتحول إلى ماس !

ضحك عبدالعظيم بك وهو يقرب وجهه من وجهها :

— عندما تنجح خطة فتنة وننتزع الشوكة سأحضر لك خاتما سوليتير سيجعل بوسى تمسك بخناق مصطفى .

قالت مرفت لتوفيق بك وهى ترى نظرات مصطفى بك المتوعدة المداعبة لعبد العظيم :

— وسأخرج أنا من المولد بلا حمص ؟

أجابها توفيق بك :

— المولد كله ملكك ..

سألت :

— وأين هذا المولد ؟ !

قال مشيرا إلى نفسه :

— المولد كله يجلس بجوارك شخصيا .

دخل كل من ساهر وفتنة المطبخ لاحضار المزيد من الامداد والتموين ؛ دق جرس التليفون الأحمر القريب من عبدالعظيم بك. لم يكلف أحد نفسه برفع السماعة . مد عبدالعظيم يده متثاقلا إلى السماعة ورفعها وهو يقول :

— لا مهرب .. التليفونات ورائى تطاردنى فى كل مكان أذهب إليه .

تساءل توفيق بك :

— ومن يعرف أنك هنا ؟ ! لابد أنه لساهر أو لفتنة !

أجابه عبدالعظيم بك وهو يضع كفه على السماعة منعا لوصول الكلام إليها :

— مجرد كلام ياتيفة .

ثم وضع السماعة على أذنه :

— ألو ؟ ! من ؟ ! ... . تريدنى أنا ؟ ! ... . ماذا تريد؟! ... ... كيف عرفت أننى هنا ؟ ! ... ... ماذا تقول ؟ ! تعرف كل شىء عن تحركاتى وسهراتى ؟ ! ! من أنت ؟ ! من أنت ؟ ! من أنت ! ؟

أحس عبدالعظيم بضيق نفس يجتاحه وكأن الغرفة قد خلت من الهواء . ترك السماعة لتسقط بجواره فالتقطتها بيرىهان ووضعتها على أذنها صارخة :

— ألو ؟ ! ألو ؟ !

لكن المتكلم كان قد أنهى المكالمة . فجأة أحست بيرىهان وكأن عبدالعظيم بك قد ثقل فجأة بين ذراعيها فى حين أحدث تنفسه صوتا مثل الشخير : هب توفيق بك من جلسته مناديا عليه :

— عبدالعظيم .. عبدالعظيم بك .. عبدالعظيم ..

لم يرد عبدالعظيم وصرخت بيرىهان صرخة جاءت فتنة على أثرها مسرعة من المطبخ وخلفها ساهر فوجدا رأس عبدالعظيم ملقى فى حجر بيرىهان التى حاولت إزاحتها لكن توفيق بك نهرها وهو يقوم بفك رباط عنقه وإجراء تنفس صناعى له . تحولت وجوه بيرىهان ومرفت وبوسى إلى تماثيل من الرعب المتحجر . عندئذ قالت فتنة وكأنها قائد وسط المعركة :

— لابد أن نتصرف بسرعة وإلا حدثت فضائح يمكن أن تصيب الجميع :

سألها توفيق بك وكان شخير عبدالعظيم قد بدأ يخفت :

ــ وماذا نفعل ؟ !

قالت فتنة فى حسم :

ــ لابد من نقله فورا إلى المستشفى وإبلاغ زوجته كى تحضر ..

سألها مصطفى بك :

ــ وماذا سنقول لها ؟ !

أجاب ساهر مسرعا وقد علا الاضطراب الأصفر وجهه :

ــ سنقول لها انه كان فى زيارة لتوفيق بك . وأثناء قيامه بتوصيله إلى بيته فاجأته الأزمة فعرج به على المستشفى.أعطنى مفتاح العربة ياتوفيق بك ..

تساءل توفيق بك فى رضوخ وضياع وهو يخرج مفتاح العربة من جيبه :

ــ أليست هناك إجابة أخرى أكثر إقناعا ؟ !

قالت فتنة لتوفيق بك :

ــ زوجته تعرف أنه اعتاد أن يزورك فى منزلك . . ثم إن منزلك يقع فى المعادى .. بالاضافة الى أنك أعزب وليس هناك من الشهود فى منزلك من يمكن استجوابه لو حدث شيء . .

قال ساهر وهو يمد الخطى فى اتجاه باب الشقة ممسكا بمفتاح العربة :

ــ سأهبط لأعد العربة وعليكم بالامساك به وسنده أو حتى حمله حتى العربة إذا استدعى الأمر .

فتح ساهر الباب واختفى . أشارت فتنة إلى الباب وهى تقول لبيربهان ومرفت وبوسى :

— عليكن الآن بالخروج فورا إلى منازلكن . ومحظور عليكن الاتصال أو الاستفهام من أى نوع .

بدت بيربهان وكأنها على أهبة الاستعداد لتنفيذ هذا الأمر الذى سيخرجها أو يوقظها من هذا الكابوس الحى فألقت برأس عبدالعظيم على الوسادة بجوارها ونهضت كأنها تنفض عن نفسها أشياء لا تعرف ماهيتها. وضعت الشال الحريرى على كتفيها وأمسكت بحقيبتها فى الوقت الذى كانت فيه مرفت وبوسى تفعلان نفس الأشياء بلا وعى ، خرجت بيربهان وخلفها مرفت وبوسى التى كانت تتحسس الخاتم الماسى فى اصبعها .

لم يتبق فى الغرفة سوى عبد العظيم الملقى على الوسائد مع شخيره المتهافت ثم فتنة فى حين وقف توفيق ومصطفى شاردين . أمسكت فتنة بيد عبدالعظيم وأجلسته فى مكانه لكن عينيه كانتا نصف مغلقتين . هرع إليها توفيق ومصطفى اللذان أوقفاه على ساقيه . فوضعت فتنة يده اليسرى على كتفى مصطفى فى حين ثبتت اليمنى على كاهل توفيق ، وسار الأربعة فى خطوات متئدة فى حين بدا عبدالعظيم وكأنه إنسان آلى يتحرك بفعل حركة الآخرين ولو تركوه لوقع منبطحا أرضا . هبطوا درجات السلم القليلة . كان ساهر فاتحا أبواب العربة التى ألقوا داخلها بعبد العظيم . جلست فتنة بجواره وأغلقت الباب فى حين أسرع توفيق بك إلى عجلة القيادة فجلس أمامها

وأدار المحرك. وكان ساهر قد جلس إلى جواره : نظر توفيق بك حوله داخل العربة ، ثم حوله خارجها فسألته فتنة :

— هل نسيت شيئا ؟ !

سأل توفيق بك وهو يخرج بالعربة من حديقة الفيلا :

— أين مصطفى ؟!

استدرك ساهر ناظرا حوله :

— فعلا .. أين مصطفى بك ؟ !

نظرت فتنة حولها وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة وهى تقول :

— فص ملح وذاب ..

انطلقت العربة فى طريقها إلى المستشفى وإذا بساهر يلتفت خلفه إلى فتنة ويقول :

— أريد مفتاح شقتى ؟ !

تساءلت فتنة :

— وكيف أخرجه ؟ !

— إنه يضعه فى سلسلة مفاتيحه الذهبية فى الجيب الأيمن للبنطلون :

هزت فتنة رأسها وقالت له :

— عندك حق :

مدت فتنة يدها فى الجيب وأخرجت سلسلة المفاتيح التى التقطها منها ساهر فى الحال وعلى ضوء مصابيح كورنيش النيل استطاع تميز مفتاح شقته فأخرجه بمهارة سريعة من الحلقة الذهبية ثم أقفلها وأعادها إلى فتنة التى دستها بدورها فى جيب عبدالعظيم. تنفس ساهر الصعداء واسترخى قليلا فى مقعده .

وقفت العربة أمام الباب الخارجى الحديدى للمستشفى .

(١٠)

فتح عادل عينيه فوجد أشجان تغط فى نومها. قبلها فى شفتيها قبلة رقيقة. نظر إلى المنبه الموضوع على الكومودينو بجواره فوجده يشير إلى السابعة. لقد تعود الاستيقاظ فى السادسة كل يوم ، ويبدو أن هذه العادة زحفت على أول صباح بعد زواجه . أخذ أشجان فى أحضانه وحاول العودة إلى الاستغراق فى النوم لكن كل محاولاته ذهبت أدراج الرياح . تذكر باقة الزهور وبطاقة التهنئة اللتين أرسلهما عبدالعظيم بك ثم بدأت صور رئيس مجلس الإدارة ومواقفه ترد على ذهنه فطردها وقال لنفسه : ليس هذا وقته .

نهض من سريره وخرج إلى الشرفة حيث استقبله هواء الصباح المنعش . أخذ جريدة الصباح من أرضية الشرفة حيث اعتاد بائع الصحف أن يقذف بها كل يوم بعد أن يلفها كالعصا رابطا إياها بشريط . فك عادل الشريط وتصفح العناوين الكبيرة : اليوم يبدأ المؤتمر القومى لتنظيم النسل . زلزال مدمر فى إيران . الكوليرا تجتاح ثلاث ولايات هندية سقوط طائرة جامبو بالقرب من جزر القمر .

تثاءب عادل ودخل غرفة النوم حيث كانت أشجان تنام نصف عارية فى قميصها الفستقى الشفاف : كانت بشرتها السمراء بمثابة إطار للقميص الملتف حول جسدها النحيف لايعرف لماذا تذكر فى هذه اللحظة مفرق صدر فتنة الأبيض البض وهى تصب له المياه الغازية المستوردة فى مكتب عبدالعظيم بك ؟ ! ثم بنطلونها الأبيض الضيق وهى تقف أمامه فى المقابلة الثانية ؟ !

سرعان ماطرد هذه الصور وجلس على السرير بجوار زوجته . فرش الجريدة أمامه . بدأ بالصفحة الأولى فإذا بخبر من أربعة سطور فى أسفل الصفحة يجعل عينيه تلتصقان به .

« وفاة رئيس مجلس إدارة بالسكتة القلبية » أصيب أمس عبدالعظيم الدمنهورى رئيس مجلس إدارة الشركة العامة لمنتجات الألبان والجبن بأزمة قلبية نتيجة لإجهاد متواصل . وقد نقل إلى المستشفى لكنه فارق الحياة بعد وصوله بدقائق » .

أغمض عينيه للحظات ثم أعاد القراءة عدة مرات غير مصدق نفسه . صحيح أن عبدالعظيم الدمنهورى كان مصابا بالقلب والضغط والسكر ، لكنه كان جباراً مفترياً. ابتسم عادل ابتسامة ساخرة من نفسه . وهل يستطيع الجبابرة المفترون تحدى الموت ؟ ! تذكر باقة الزهور وبطاقة التهنئة وابتسم مرة أخرى ابتسامة مريرة : لقد انتهت علاقته بعبد العظيم بك إلى الأبد بهذه اللفتة الرقيقة ؟ ! لايهم الهدف الحقيقى منها الآن فقد انتهى كل شىء !

وسط خضم الأفكار المتلاطمة والمتلاحقة تذكر عادل أنه نسى تماما زوجته التى تغط فى النوم بجواره . لم يحتمل ثقل الشحنة داخله فلم يجد بدا من إيقاظها . هز كتفها برفق :

— أشجان .. أشجان

تحركت ثم تمطت فى السرير فقال لها :

ــ استيقظى ياروحى .. أريد أن أثرثر معك .

فتحت عينيها نصف فتحة وهى تقول بابتسامة عذبة :

ــ صباح الخير ياسيادة عضو مجلس الإدارة .

ــ صباح الخير يا أجمل أشجان فى الدنيا .

ــ كم الساعة الآن ؟

ــ السابعة والربع . .

ــ ياه .. لايزال الوقت مبكراً جداً ! !

ــ من اعتاد الاستيقاظ مبكراً لايستطيع الهروب منه ابتداء من أول صباح بعد زواجه ..

رأت أشجان الجريدة المفروشة أمام عادل الجالس متربعاً فى بيجامته :

ــ لم تستطع أن تتخلى عن اهتمامك بالسياسة فى صباح مثل هذا ؟ !

ــ أردت أن أسلى نفسى حتى تستيقظى . . فقرأت فى الجريدة ما اضطرنى إلى إيقاظك .

نهضت أشجان جالسة مندهشة لقوله :

ــ خبر .. هل نشرت الشركة تهنئة لنا بالزواج ؟ !

عاد عادل إلى ابتسامته الساخرة وهو يقول :

ــ انظرى بنفسك .

قدم إليها الجريدة واضعا اصبعه على موضع الخبر فى نهاية الصفحة ثم ركز عينيه على وجهها الذى بدأت ملامحه فى تجسيد مزيج من الدهشة والذهول وهى تقول :

– ماذا ؟ ! غير معقول ؟ ! متى حدث هذا ؟ !

أعادت أشجان القراءة ونظرات عادل على تعبيرات وجهها وانفعالاته . ألقت بالجريدة أمامها على السرير وفى مزيج من الإحباط والضيق والتشاؤم قالت :

– وماذا ستفعل الآن ؟ !

– لابد أن أحضر الجنازة ثم العزاء .

– لم يحدث لعريس أن قضى أول يوم بعد زواجه بهذا الأسلوب الجنائزى المثير للتشاؤم ؟ !

– إنها ضريبة دخولى مجلس الإدارة ، ولا أحب أن يقول عنى أحد إننى شامت !

– ويبدو أنها لن تكون الضريبة الوحيدة التى ستدفعها ؟ !

– لم يكن حماسك لدخولى المجلس بأقل من حماسى .

– سأذهب إلى بيت أبى لأقضى اليوم هناك . وعندما تنتهى من واجبات العزاء تعال لتأخذنى ..

– آسف ياحبيبتى .. إنها أشياء ليس لأحد يد فيها ..

– كان عبدالعظيم الدمنهورى متعباً لنا فى حياته . . ويصر على نفس السلوك فى مماته أيضاً .

ابتسم عادل وأخذ أشجان بين أحضانه مقبلا رأسها وخدها وفمها محاولا تغيير الجو النفسى الكئيب ، وقال عندما لم يجد استجابة حقيقية منها :

– كلها ساعات معدودات وسأعود إليك حالا لبدء شهر العسل !

لم تبدله الابتسام ونظرت شاردة إلى الجدار الأبيض المواجه ، لدرجة أنها لم تلحظ الطفل الجميل القابع فى اللوحة المعلقة . لم يشأ عادل أن يتوتر الجو أكثر من هذا فنهض ليرتدى ملابسه ، وكان أول شىء يبحث عنه فى دولابه رباط عنق داكنا بقدر الإمكان .

***

سار عادل فى الصف الثانى من صفوف المشيعين لعبدالعظيم الدمنهورى : كان أمامه عبدالحميد بك نائب رئيس مجلس الإدارة ومدير المصانع وعن يمينه ساهر الذى لم ينظر نظرة واحدة إلى النعش بل ركز عينيه على عبدالحميد بك متبادلا معه بعض الكلمات ، فى حين سار الأستاذ عبدالحق رئيس القطاع المالى والتجارى على يسار عبدالحميد بك وقد استغرقه التفكير بحيث بدا شارداً . أما البكاء فقد اقتصر على بعض أقارب الفقيد من الدرجة الأولى وفى الصفوف الأولى .

وكان عادل مشغولا بالتفكير فى جرأة رأفت وصراحته . لقد رفض السير فى الجنازة وقال إنه وإذا كان لم ينافقه فى حياته فيجب ألا ينافقه فى مماته . مرت أمام مخيلة عادل صور عرسه بالأمس والبهجة التى عمت الجميع . تذكر فرحة رأفت له ثم استئذانه بعد أن شهد العقد ليخرج وليعود بعد نصف ساعة وشىء من التشفى الغامض يبدو على وجهه الزاخر بالانطلاق والحيوية . ترى أين ذهب ولماذا ؟ ! تعجب عادل من إلحاح هذا التساؤل على ذهنه برغم إدراكه أنه ليس من المفروض أن يعرف كل كبيرة وصغيرة عن رأفت !

***

فى المساء أقيم سرادق العزاء بجوار جامع عمر مكرم : ووفد للعزاء أعضاء مجلس الإدارة وكبار موظفى الشركة وبعض رؤساء الشركات الأخرى ورجال الأعمال من أمثال توفيق بك ومصطفى بك . أما العمال فلم يأت منهم سوى أعضاء فريق كرة القدم المزمع تكوينه وعلى رأسهم شمطة كابتن الفريق الذى بدا على وجهه الإحباط وخيبة الأمل فى الأمجاد التى ضاعت قبل أن تتحقق .

فى سرادق العزاء جلس عادل فى مواجهة عبدالحميد بك نائب رئيس مجلس الإدارة ومدير المصانع وعن يمينه ساهر وعلى يساره عبدالحق : ترامى إلى آذان عادل كلمات ساهر لعبد الحميد بك : البركة فى سيادتك. سيادتك خير خلف لخير سلف . كنت الأخ الأكبر للجميع ولذلك نتمنى لسيادتك الحصول على المنصب لأنه سيتشرف بك .

كانت ملامح عبدالحميد بك وإيماءاته لساهر تدل على الموافقة التامة ومحاولة منع الابتسامات التى قد تطل من بين ثنايا وجهه ونظارته السوداء السميكة السلكية . أما عبدالحق فكان مستغرقاً فى تفكيره متتبعاً ببصره المعزين الداخلين واحداً واحداً إلى أن يجلسوا . فى حين انهمك توفيق بك فى تدخين سيجارة فى أعقاب سيجارة وتشاغل مصطفى بك بقطة بيضاء ذات بقع سوداء تسير تحت صف الكراسى أمامه وتتلاعب بالخيوط النافرة من حافة السجادة . كانت سعيدة بالسجاد الوثير والمصابيح التى أحالت السرادق إلى نهار مشمس .

وقف أحد الوعاظ أمام الميكروفون ليؤبن محاسن الفقيد ويقدم المواساة لأهله الذين انشغلوا عنه بالحديث فيما بينهم . قال :

— كان عبدالعظيم الدمنهورى رجلا ولا كل الرجال . كان يصل الليل بالنهار من أجل خدمة شركته والعاملين فيها . إنهم لن ينسوا ذلك الأب الذى ضحى بحياته فى سبيلهم لم يكن يفكر فى صحوه ومنامه سوى فى التقدم بشركته خطوات وخطوات حتى رحل عن دنيانا الفانية وهو يخطط لمشروع جديد كان من شأنه مضاعفة الإنتاج ومضاعفة أجور العاملين . لكن إرادة الله عز وجل كانت أسبق ولا راد لقضائه . إن الخسارة فادحة لكن عزاءنا أن الفقيد العزيز رحل عنا بجسده فقط ، أما ذكراه العطرة فستظل حية بين جميع من عرفوه .

رنت كلمات الواعظ فى أذنى عادل وتساءل : هل يعرف الحقائق المرة الكامنة وراء أقواله المعسولة ؟ ! إذا كان يعرف فهو ممثل قدير يستطيع أن يتلاعب بمشاعر الذين لايعرفون ، أو يتهكم من الفقيد فى نظر الذين يعرفون؟ ! أما إذا كان لايعرف فهو خطيب محترف يتفنن فى اللعب بأسرار اللغة دون أن تهتز لها شعرة واحدة فى رأسه ؟ !

خرج عادل من تساؤلاته على صوت ساهر وهو يقول لعبدالحميد بك : مدام فتنة تهدى لسيادتك السلام وتتمنى أن تقدم التهنئة فى الأيام القليلة القادمة . وكانت تود أن تطلبوا منها أية خدمة لولا أنها ذهبت لتقديم واجب العزاء لأرملة المرحوم .

(١١)

عادت الأمور إلى سيرتها الأولى فى الشركة . باشر عبد الحميد بك أعمال رئيس مجلس الإدارة بالنيابة وكله أمل فى الحصول على المنصب . فهو أولى المسئولين به. لم يعكر صفو آماله سوى الإشاعة التى رشحت توفيق بك رئيس مجلس إدارة الشركة العامة للتعبئة والتغليف كى ينتقل ويحل محل عبدالعظيم الدمنهورى . حاول الاتصال به لجس نبضه لكنه لم يجد منه ما يشفى غليله .

تصرف كل من فتنة وساهر مع عبدالحميد بك على أنه رئيس مجلس الإدارة القادم . لكن العامل الذى أثار قلقها أنه لم تكن له اهتمامات نسائية . كانت الوظيفة هى كل شىء فى حياته. يعشق الملفات الضخمة والتوقيعات الكثيرة والاجتماعات المطولة والمكالمات المسهبة واللف والدوران حول كل كبيرة وصغيرة ، لدرجة أن جعفر ساعى المكتب قال لفتنة وساهر : لو حصل عبدالحميد بك على المنصب فسنأتى إلى الشركة فى السابعة صباحا مع العمال ولن نغادرها قبل العاشرة مساء ! ! لكن فتنة وساهراً استعدا لقبول الأمر الواقع

أو المحتمل وقوعه وشرعا فى البحث عن مداخل جديدة يصلان بها إلى عقل عبد الحميد بك وقلبه . فلم تعد شقة ساهر تصلح لوضع الخطط وتنفيذ المشروعات وأداء الخدمات للأهل والأصدقاء .

أما عادل فلم يهتم كثيراً بشخصية رئيس مجلس الإدارة القادم، كل مايهمه أن مبادئه واحدة لن تتغير . ولعل التغيير الوحيد الذى قام به فى تلك الفترة هو نقل دلال سكرتيرته اللعوب إلى الشئون المالية والإدارية بعد أن نجح فى إقناع رأفت كى يحل محلها فى مكتبه برغم اعتراضه وإصراره فى بادئ الأمر على أن يظل فى عمله الفنى فى معمل التحاليل والأبحاث .

طال انتظار الجميع لتعيين رئيس مجلس الإدارة الجديد ، وازداد قلق عبدالحميد بك وتوتره . وعندما ذهب إلى طبيبه لقياس الضغط وجده مرتفعاً ونصحه الطبيب بألا يشغل نفسه كثيراً بهذه الأمور ، لكن عبدالحميد قال لنفسه : إن من يضع يده فى المياه الباردة ليس كمن تلسعه المياه الساخنة .

ثم بلغ قلقه قمته عندما قرأ فى الصحف أن حركة تنقلات وترقيات ستجرى وسيعلن عنها خلال أيام . ثم ذكر فى نهاية الخبر أن الرغبة تتجه نحو إفساح المجال للعناصر الشابة التى أثبتت قدرتها على احتلال المناصب القيادية .

انطلقت الجملة الأخيرة كالسهم فى قلب عبدالحميد بك . لم يتبق له على المعاش سوى سنتان وبالتالى لايمكن اعتباره من العناصر الشابة . هل ينطبق عليه مثل الحزينة التى جاءت لتفرح فلم تجد لنفسها مطرحاً ؟! لكن أين

/

هى هذه العناصر الشابة التى تتكلم عنها الجريدة؟ إن أصغر أعضاء مجالس الإدارة سنا فوق الخمسين . لكن آه .. إن عادل أمين لم يبلغ الأربعين بعد ! لكن لا يعقل تعيينه وكأن العالم كله قد خلا من الكفاءات ولم يتبق سوى هذا العادل ! ! وإذا حدث فلابد أن يكون هذا من علامات الساعة . لا .. لا .. إنها مجرد مخاوف لا أساس لها من الصحة ولا يصح التفكير فيها . مجرد التفكير . آه . . لكن عادلا أثبت قدرته فعلا على احتلال المناصب القيادية .. بدليل أنه أصبح عضو مجلس إدارة ولم يتعد الأربعين . ومع ذلك ربما لا يعرف المسئولون عنه شيئاً أو حتى مجرد اسمه . على كل حال إن غداً لناظره قريب .

قرأ ساهر وفتنة الخبر فى الجريدة فطرأ عادل فى الحال على بالهما ، حين قالت فتنة :

— إن تعيينه لو حدث سيكون كارثة كبرى علينا نحن بالذات !

ابتسم ساهر ابتسامة ساخرة مريرة وقال :

— هذا فى الوقت الذى كان فيه عم جعفر يشكو من المجئ إلى الشركة فى السابعة صباحاً والبقاء حتى العاشرة مساء إذا ماتولى عبدالحميد بك رياسة مجلس الإدارة . .

أضافت فتنة معلقة :

— نار عبدالحميد ولا جنة عادل !

تدارك ساهر نفسه محاولا التعلل بالآمال :

— لعلها مجرد هواجس . . لا يعقل أن يحدث هذا بهذه البساطة ..

عقبت فتنة فى يأس :

— نرجو أن تكون مجرد هواجس . . وإلا ضاعت كل خططنا مع الرياح الجديدة القادمة .

دخل عم درويش مكتب عادل فوجد رأفت جالساً منهكما فى دراسة بعض الأوراق . حياه وقال :

— هل صحيح ياباشمهندس ماسمعته ؟ !

ترك رأفت الأوراق التى فى يده وقال :

— تفضل اجلس ياعم درويش . . ماذا سمعت ؟ !

جلس عم درويش على الكرسى المقابل لمكتب رأفت وقال :

— أن الاختيار وقع على الباشمهندس عادل ليكون رئيس مجلس الإدارة . .

— من قال هذا الكلام ؟ !

— يقول العمال إن هذا الخبر نشر فى صحف اليوم !

— إن صحف اليوم أمامى على المكتب . .

أخذ رأفت أول صحيفة أمامه وأخذ يمسح الصفحة الأولى بعينيه فلم يجد شيئاً ، وكان على وشك أن يستبدلها بصحيفة أخرى لولا أن وقع بصره على الخبر منشوراً فى العمود قبل الأخير . قرأه بسرعة وقال لعم درويش معلقاً :

— إن ماسمعته مجرد تخمين . . وعلى كل حال فلنسأل الباشمهندس عادل فى هذا الموضوع .

نهض رأفت ومعه الجريدة ثم دخل مكتب عادل وخلفه عم درويش :
توقف الاثنان على مقربة من المكتب . فقد كان عادل يتحدث فى التليفون :

– أرجو أن تعلم جيداً أن أسلوبى فى التعامل مختلف تماما . ولن أمس امتيازات العمال تحت أى شعار مهما كان براقا . ومن الآن فصاعداً لن تقبل الشركة أى عطاء إلا إذا كان يجمع بين السعر الرخيص والسلعة الجيدة والخدمة الممتازة . بلغ هذا للإدارة عندكم وأنا فى انتظار الرد . شكراً . مع السلامة .

وضع عادل السماعة وقام مرحباً بعم درويش الذى جلس قبالته فى حين جلس رأفت على الكرسى المقابل . قال عادل لدرويش :

– أهلا عم درويش .. خيراً .. هل ثمة مشكلة فى المصانع ؟!

– الحمد لله ياباشمهندس .. منذ أن دخلت مجلس الإدارة والمصانع تحولت إلى خلية من النحل لاتهدأ ليل نهار ..

تدخل رأفت فى الحوار مقاطعاً عم درويش :

– لقد جاء عم درويش اليوم ليطمئن على مانشر بخصوص تعيين العناصر الشابة التى أثبتت قدرتها على تولى المناصب القيادية فى مجالس الإدارة .
قال عادل :

– لقد قرأت الخبر اليوم .. لكننى لا أظن أن هذا التخمين فى محله ... ويكفينى أننى أصبحت عضو مجلس إدارة .. وهو مالم أكن أحلم به فى يوم من الأيام ..

قال عم درويش وفى صوته أبوة حانية :

– زادك الله من فضله .. أنت تستحق كل خير : :

حسم عادل الموضوع كله :

– أرجو ألا تشغلوا أنفسكم بهذه الأمور . فى اعتقادى أن المسئولين ليس لديهم أدنى فكرة عنى .

نهض عم درويش محييا وانصرف خارجاً وخلفه رأفت الذى قال له عند باب مكتبه :

– فى اعتقادى أن الترشيح يتراوح الآن بين عبدالحميد بك نائب رئيس مجلس الإدارة ومدير المصانع وبين توفيق بك رئيس مجلس إدارة الشركة العامة للتعبئة والتغليف وهو ما أكدته أقوال وهمسات كبار الموظفين فى الشركة . أما الإشاعة المنتشرة بين العمال الآن فهى مجرد تعبير عن حبهم لعادل .

(١٢)

لم ينم عبدالحميد بك تلك الليلة نوما مريحا . حاول الاتصال بالمسئولين لعله يعرف آخر أنباء التنقلات والترقيات والتعيينات لم لكنه يحظ منهم إلا بمزيد من الحيرة والقلق وخاصة أنه شعر أن النشرة قد طبعت بالفعل . استيقظ فى السادسة صباحا وهو يشعر بصداع مصحوب بدوار شديد بعض الشيء فتأكد أن الضغط قد زاد فى ارتفاعه . سمع الضجة التى يحدثها موزع الصحف عندما يلقى بالجريدة فى الشرفة . نهض مسرعا برغم الصداع والدوار وفتح باب الشرفة والتقط الجريدة وفكها من رباطها وقرأ كل عناوين الصفحة الأولى كبيرها وصغيرها . وفجأة حملق بعينين متسعتين مذهولتين فى بقعة منها ثم سقط على أرضية الشرفة ككومة من لحم وعظم. سمعت الزوجة النائمة صوت الارتطام فنهضت مذعورة وساعدته على الوصول إلى السرير . واتصلت فورا بالتليفون لاستدعاء طبيبه الذى أخبرها أنه سيأتى فورا ، وعلى زوجها ألا يأتى بأية حركة حتى يصل للكشف عليه .

فى ذلك اليوم انتشر خبر تعيين عادل أمين رئيسا لمجلس إدارة الشركة، انتشار النار فى الهشيم . لم يصدق عادل نفسه لكن كان عليه أن يؤقلم نفسه

للوضع الجديد الذى كان فى نظره أشبه بالحلم : حاول أن يخلو لنفسه حتى يتعامل مع هذا الحلم ويشعر تدريجا أنه حقيقة واقعة لكن وفود المهنئين من العمال والموظفين تكاثرت على مكتبه ولم تترك له دقيقة واحدة يفكر فيها أو ممرا واحدا يتحرك فيه أو ثغرة واحدة يلتقط منها أنفاسه. إنه منذ أن قرأ الخبر فى الصحيفة والتليفون الذى ركب حديثا فى شقته لم يهدأ لحظة واحدة. لدرجة أنه لم يستطع أن يتبادل جملة مفيدة واحدة مع أشجان التى جرفتها الفرحة هى الأخرى لدرجة أحالتها فيها إلى كتلة متحركة من التوتر وعدم التركيز :

ارتدى ملابسه على عجل ولم ينتظر العربة المخصصة له بل استقل تاكسيا : وسرعان ما كان فى مكتبه يستقبله رأفت ودرويش اللذان ذهلا عندما وجدا فتنة وساهراً يصران على أن يكونا أول من يهنىء رئيس مجلس الإدارة الجديد: ألقى عادل بتحية الصباح على الأربعة فاذ بساهر يهجم عليه ويأخذه بين أحضانه ويقبله فى عنف وحرارة أذهلت عادل الذى تخلص منه بسرعة شاكرا له عواطفه. فتلقفته فتنة التى أمسكت يده عنوة وشدت عليها بسخونة ولم ينقذه منها سوى رأفت الذى قبله مهنئا وتبعه عم درويش الذى دخل معه غرفة مكتبه: قال عم درويش بمجرد جلوس عادل إلى مكتبه :

– لم أر فى حياتى برودا وانتهازية أكثر من ذلك :

قال عادل :

– لا تتوقع يا عم درويش منهما سلوكا غير ذلك ::

دخل رأفت الغرفة مغلقا الباب خلفه وهو يقول :

– لو خصصت درجة للدكتوراه فى النفاق فلابد أن يكون ساهر وفتنة من أوائل الحاصلين عليها بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى :

ابتسم عادل معلقا :

– كل إناء ينضح بما فيه ..

أضاف رأفت :

– تصور يا باشمهندس .. إنهما جالسان فى مكتبى الآن يخططان لإقامة حفل كبير فى الشركة ابتهاجا بتوليك رياسة مجلس الادارة . وقد اتصلت فتنة الآن بالأستاذ عبدالبديع شاعر الشركة لتأليف قصيدة لهذه المناسبة .

قال عادل متسائلا متهكما :

– لم أكن أعرف أن للشركة شاعرا رسميا ؟ !

أجاب رأفت :

– إنه الأستاذ عبد البديع اليد اليمنى للأستاذ عبدالحق رئيس القطاع المالى والتجارى . وقد اعتاد تأليف قصيدة بعد كل انتخابات لمجلس الادارة ، ولكن فى الانتخابات الأخيرة منعه المرحوم عبدالعظيم الدمنهورى لنجاحك فيها كما ألغى الاحتفال أيضا ..

حسم عادل الحديث بقوله :

– وسأمنعه بدورى هذه المرة لأننى أريد أن تتوقف مواكب النفاق ونتوجه إلى العمل الجاد بكل طاقاتنا لصالح الجميع ..

تساءل عم درويش :

– وماذا عن الحفل الذى يخطط له ساهر وفتنة ومعهما عبدالحق ؟ !

قال عادل :

– لا تقلق ياعم درويش .. اترك لى هذا الموضوع لأن مناقشته تضييع للوقت .

سمع عادل طرقات خفيفة على الباب الذى فتح ودخل منه الأستاذ عبدالحق الذى أسرع الخطى إلى عادل الذى مد له يده لكن عبدالحق لم يكتف بسلام اليد بل دار حول المكتب محتضنا عادل بعنف وهو يقول له وللدرويش ولرأفت :

– لم أحضر لتهنئة عادل بك بالمنصب وإنما أتيت لأهنىء المنصب بعادل بك ! !

لأول مرة ترن فى أسماع عادل كلمة « بك » . كان لجرسها وقع غريب فى نفسه عندما اقترنت باسمه . لاحظ درويش ورأفت شرود عادل لكنه استدرك الأمر وقال لعبد الحق :

– شكرا . . ولكننى أعتبر المنصب مسئولية خطيرة وليس مجرد تشريف .

لم يعبأ عبدالحق بما قاله عادل واستمر فى كلامه الخطابى :

– وكان من يمن الطالع أن أوحى توليكم لرياسة المجلس بقصيدة عصماء لشاعرنا الأستاذ عبدالبديع شرع فى كتابتها فورا لالقائها فى حفل الابتهاج بسيادتكم .

لم يحتمل عادل الاستمرار فى الإستماع إلى هذه الأسطوانة فقال بحسم :

– إن العمل الجاد المثمر هو الاحتفال الحقيقى بى . وأنا أعلم شعور الجميع ناحيتى وخاصة شعور الإخوة العمال . ولذلك لا أريد احتفالات أو أى مظاهرات من هذا القبيل .

قال عبدالحق متراجعا :

ـ الأمر أمر سيادتك . كل ما هناك أننا أردنا التعبير عما يجيش فى صدورنا من حب وتقدير وإجأعودلال . سالآن إلى مكتبى لأنفذ تعليمات سيادتك بخصوص العمل الجاد المثمر .

تراجع عبدالحق خطوتين إلى الوراء ثم استدار ليصطدم بعم جعفر الذى فتح الباب مسرعا لتهنئة عادل بك . تمالك عبدالحق نفسه ثم تفاداه وخرج فى حين هجم عم جعفر على يد عادلوقبلها لكنه سحبها منه بعنف. ركز جعفر عينيه على الأرض أمامه و قال فى شبه انحناءة :

ـ والله يافندملا أستطيع أن أعبر عن مدى فرحتى . لدرجةأننى أخذت الأسطى ربيع سائق سيارة رئيس مجلس الادارة إلى منزل سيادتكم فى شبرا للتعرف على مكانه : وهو الآن رهن اشارتكم بالتحرك الى أىمكان تطلبون. أما كل طلبات المنزل فسيادتك لاتشغل بها نفسك على الاطلاق فأنا وربيع فى خدمة سيادتكم ليل نهار .

نظر درويش ورأفت إلى جعفر نظرات كلها حنق واشمئزاز ازدادا عندما تقبل عادل الحديث بعدم نفور وقال :

ـ شكرا يا جعفر . . عندما أحتاج إليك سأطلبك ..

ارتسمت على وجه جعفر ابتسامة الانتصار :

ـ حفظك الله لنا ولكل من فى الشركة .

تراجع إلى الخلف منحنيا لكنه توقف مرة ثانية وقال :

ـ نسيت أن أقول لسعادتكم أننا قد جهزنا مكتب السيد رئيس مجلس الإدارة لتشريفكم :؟

قال عادل فى اقتضاب :

— لن أغير مكتبي هذا .. سأدير الشركة منه ..

لم يرضخ جعفر لهذا الرأى :

— مع احترامى الشديد لرأى سيادتكم : فالمكتب الآخر مجهز بكل الاتصالات المباشرة بالمسئولين وبالشركات الأخرى . وبه قاعة ملحقة لاجتماعات مجلس الادارة وغرفة للسكرتير وغرفة لمدير المكتب وصالون للاستراحة ودورة مياه ..

حاول عادل إنهاء الحديث :

— وهو كذلك .. غدا سأنتقل إلى المكتب الآخر : .

قال جعفر وإحساس النشوة بالانتصار يجتاحه :

— فى انتظار تشريفكم العظيم يافندم . .

خرج جعفر مشيعا بنظرات الحنق والضيق والاشمئزاز من كل من رأفت ودرويش اللذين ظنا أن عادلا أحس بأن ما يدور الآن فى مكتبه من طبيعة الأمور .

بدأ كبار الموظفين ورؤساء وحدات الانتاج فى التوافد على مكتب عادل الذى ازدحم بهم . تصاعد فى سقف الغرفة مزيج من كلمات التهنئة والضحكات والتعليقات ودخان السجائر وصوت الباب الذى يفتح ويغلق من حين لآخر .. ضاقت مقاعد الغرفة بالحاضرين فجلس بعضهم ووقف البعض الآخر ووسطهم فوجئ عادل بفتنة تقوم بتوزيع أكواب الشراب والمياه الغازية المثلجة بين الحاضرين الذين تابعوا فستانها ذا الخطوط الصفراء والزرقاء والفتحة التى تصل الى منتصف الفخذ الأيمن . شكلت الخطوط الصفراء تناغما مع شعرها الذهبى المسترسل ، فى حين شكلت الخطوط الزرقاء إيقاعا لونيا مع عينيها ومع البهجة المطبوعة على وجهها .

تذكر عادل مفرق صدرها الأبيض البض يوم لقائه معها فى مكتب عبدالعظيم الدمنهورى . تعجب لهذه الأنثى المضيئة المتفجرة التى لاترى فيما تفعله أى تناقض . إن الاشعاعات الذرية الصادرة عنها لاتقل فى خطورتها عن أى قنبلة دائمة الانفجار . كذلك لم يعلل سر مقارنته الدائمة بينها وبين أشجان فى حين أنه لا وجه للمقارنة بينهما . إنها امرأة خطيرة والبعد عنها غنيمة برغم عطرها الساحر الجذاب .

زادت دهشة عادل عندما شاهد ساهراً يتحرك فى حلته الأنيقة وحذائه الأسود اللامع مقدما علبة الحلوى والشيكولاته إلى كل واحد من الحاضرين ، متبادلا معه الابتسام والتهنئة كما لو كان هو نفسه الذى فاز بالمنصب . إنه يشكل ثنائيا عجيبا مع فتنة . لايعرف أحد نوعية علاقته بفتنة : هل هى غرام أم مصلحة مشتركة أم تخطيط لأهداف منفردة ؟ ! لكن لم يحدث أن تشاجرا أو أبديا نحو بعضهما بعضا نوعا من الشعور الرومانسى . ولذلك يجب إبعادهما فورا عن مجلس الإدارة .

أحس عادل لأول مرة بخوف دفين من ساهر وفتنة برغم أن المقادير وضعت كل مقاليد الأمور فى يده . تقدم ساهر فى دبلوماسية أنيقة تجاه عادل . وضع العلبة فوق المكتب ومال على أذنه :

– سيصل الوفد الهولندى بعد شهر ونصف . ماتعليمات سيادتك بخصوص حجز الفندق والرحلات والهدايا ؟ !

تباعد عادل برأسه عن ساهر وحاول تفادى نظراته وهو يقول :

– غدا سأبدأ فى اتخاذ قراراتى .

– أمرك يافندم ..

قالها ساهر فى أدب جم وتراجع مختفيا بين الحاضرين .أما فتنة فكانت تمارس ضيافتها للحاضرين كما لو كانوا ضيوفها شخصيا .

لم يحتمل رأفت ودرويش جو الغرفة الخانق فانسحب الأول خارجا إلى مكتبه فى حين انطلق درويش إلى المصانع حيث طغت فرحة العمال على ضجيج الآلات .

(١٣)

كان أول قرار أصدره عادل بعد توليه رياسة مجلس إدارة الشركة هو نقل فتنة إلى قسم العلاقات العامة بالشركة فى حين نقل ساهر إلى قسم الدعاية . كانت ضربة قاصمة لهما لأن هذين القسمين ليس لهما وزن حقيقى فى الشركة ، هذا فى الوقت الذى حل فيه رأفت محل ساهر فى إدارة المكتب ، ودرويش محل فتنة فى السكرتارية .

وهذا التغيير الأخير بصفة خاصة أثار سخرية كبار الموظفين الذين كان يحلو لهم فيما بينهم المقارنة بين فتنة المضيئة ودرويش المنطفىء . أما العمال فقد رحبوا بهذه التغييرات وأحسوا أن الشركة أصبحت ملكهم مما جعل الإنتاج يتضاعف بكميات لم تكن فى الحسبان .

كان قسم العلاقات العامة يقع عند الطرف الشرقى لمبانى الشركة فى حين كان قسم الدعاية فى نهاية الطرف الغربى لها . وبذلك ابتعد ساهر تماما عن فتنة لأول مرة منذ تعيينهما فى الشركة . فقد وجدت فتنة نفسها فجأة فى غرفة ضيقة وأمام مكتب صغير أجرب وأمامها مكتب أصغر تجلس إليه

موظفة يحاكى اصفرار وجهها وبروز عروقها طلاء الجدران المتساقط . لم تتبادل معها كلمة واحدة ، وعندما رفعت سماعة التليفون القديم الموجود فوق مكتبها أحست بالاختناق عندما اكتشفت أنه غير مباشر وأن فى إمكان عامل التحويلة أن يسمع كل كلامها ، فوضعت السماعة مرة أخرى فى حنق .

أما ساهر فى قسم الدعاية فقد وجد نفسه مع اثنين من فنانى الإعلان والدعاية ، يرسمان تصميماتهما فى صمت ولا يسمع سوى صوت تمزيق اللوحة إذا لم تعجب أحدهما . وإذا أراد أحدهما أن يسرى عن نفسه فانه يرسل من فمه صفيرا هادئا ، أو أن يدير الآخر مفتاح الراديو مستمعا إلى الموسيقى الخفيفة . وإذا وقعت عين أحدهما على ساهر الذى يقتله الملل ، فانه يبتسم له ابتسامة عذبة ثم يستدير إلى لوحته أو يحك لحيته بحثا عن أفكار جديدة . جو هادىء لطيف لكنه لم يخلق لساهر الذى أحس لأول مرة فى حياته بطعم المنفى .

أحس عادل أن كل شىء أصبح رهن إشارته وخاصة بعد أن قام عبدا لحميد بتسوية معاشه ثم سافر إلى دولة عربية.وكان أن انتقل عبدالمعطى رئيس قطاع الشئون الفنية والمشروعات إلى منصب نائب رئيس مجلس الادارة ومدير المصانع ، وأحس عادل بعبد المعطى وكأنه مدين له بهذه الترقية . كذلك لم يهتم عادل بشغل الأماكن التى خلت فى مجلس الإدارة بوفاة عبد العظيم الدمنهورى وترقية عادل نفسه وتعيينه مكانه ، وباستقالة عبدالحميد وتسوية معاشه . ولم يثر هذا أى دهشة بين العمال الذين وجدوا أن رئيس مجلس الإدارة نفسه يمثلهم . أما جناح كبار الموظفين فقد سار فى الركب الجديد ولم يحاول حتى إثارة موضوع عقد الانتخابات بأسرع ما يمكن . وقد تبنى هذا الاتجاه الأستاذ عبد الحق عضو مجلس الإدارة ورئيس القطاع المالى

والتجارى ، الذى وجد أن من الحكمة عدم الإسراع بالانتخابات وسط هذا النجاح العالى الساحق حتى لاترجح كفة العمال أكثر من هذا .

مضى وقت حتى استطاع عادل أن يؤقلم نفسه للمنصب الذى لم يكن فى الحسبان . لكن صورة المكتب البراقة فى عهد عبدالعظيم الدمنهورى تلاشت وخاصة أمام العملاء الأجانب ومندوبى الشركات الأخرى . كان المهندس رأفت جافا إلى حد ما فى معاملاته مع المترددين على المكتب . لم يكن يؤمن بأن الحق فى حاجة إلى دبلوماسية ومرونة وابتسامات وتحيات . فالحقيقة الموضوعية هى واحد زائد واحد يساوى اثنين ، ومن يحب أن يتعامل بهذا الأسلوب أهلا وسهلا ، أما عاشق اللف والدوران فالى الجحيم . أما عم درويش الذى أصبح الآن درويش بك فى نظر كل العاملين ، فلم تشفع له الحلة الأنيقة التى ارتداها لأول مرة فى حياته بعد ثلاثين عاما من ارتداء الزى العمالى ، فى أن يسد الفراغ الذى تركته فتنة . وإذا كان رأفت يعرف التعامل ببعض الإنجليزية التى تعد اللغة الأجنبية الوحيدة التى يتحدثها بكثير من حركات جسمه وإشارات ذراعيه وملامح وجهه فان درويش لم يكن على أية علاقة بأية لغة أجنبية . وقد أثار هذا استياء كثير من العملاء الأجانب المترددين على الشركة والذين لايعرفون العربية .

وقد لاحظ عادل هذه الحقائق بعد استقرار الأمور . لكنه لم يتراجع قراره لسببين : الأول لأنه لم يكن من الممكن استمرار ساهر وفتنة بنفس الأسلوب والعمال يعرفون عنهما مايعرفون ، والثانى أنه كان من الضرورى أن يستخدم الناس الذين يثق بهم ، كما أنهم ساندوه بكل قواهم إلى أن وصل إلى مجلس الإدارة الذى قفز منه إلى قمته . وسوف تعلمها الأيام كيفية إدارة مكتبه . فلم يولد ساهر مديراً لمكتب رئيس مجلس الإدارة ، ولم تجد فتنة نفسها

فجأة سكرتيرة . صحيح أن الفارق المظهري واضح جداً لكل ذي عينين ، لكن عهده يجب أن يكون جديداً في كل شيء . ومع ذلك لم يعرف عادل لماذا كانت صورة فتنة وساهر تلح عليه من حين لآخر برغم مشاغل المسئولية ومشكلات المنصب ؟

اقتنعت فتنة أخيراً أن وضعها الجديد لا يمكن أن يستمر على ما هو عليه حتى لو أدى الأمر إلى استقالتها . وفي زيارة خاطفة لمكتب الأستاذ عبدالحق صرحت له بهذا لكنه نصحها بأن مثل هذه الأمور لاتناقش في المكاتب ، وطلب منها أن تزوره في منزله بصحبة ساهر لمناقشة الأمر برمته .

في مساء اليوم نفسه كان ساهر متوجهاً بسيارته وبصحبته فتنة إلى مصر الجديدة حيث يقطن الأستاذ عبدالحق . كانت الشقة في الدور العاشر وتطل شرفتها على صحراء مصر الجديدة التي تلاشت ملامحها بين طيات الظلام ، في حين لم تظهر سوى أنوار الطريق المؤدي إلى المطار ومصابيح السيارات المسرعة ذهابا وجيئة ، والنوافذ المضيئة للطائرات الصاعدة والهابطة .

جلس الثلاثة في الشرفة الهادئة إلا من هدير الطائرات البعيدة . كانوا يتناولون البطيخ المثلج في صمت قطعه الأستاذ عبدالحق :

– إن الموضوع ليس بالصعوبة التي قد نتصورها في بادئ الأمر . هناك ثلاث وسائل للتعامل مع أي خصم : إما الهروب أو المواجهة أو الاحتواء . ولنبحث في هدوء الوسيلة المثلى للتعامل مع عادل . أولا عملية الاستقالة هروب يمنح الخصم نصراً كاملا ، وهذا ليس من طبيعتك يافتنة .

أومأت فتنة برأسها موافقة عندما نظر عبدالحق إلى وجهها المضيء بالنور المنبعث من غرفة الصالون في حين ظهر شعرها الأصفر المرسل في ضوء القمر

خلفها مثل تاج ذهبي : كانت ترتدى بنطلونا من الجينز فى لون السماء، وقميصاً أزرق داكنا يكشف عن مفرق صدرها البض الأبيض : استمتع عبد الحق بمنظرها برغم بصره الضعيف ونظارته السلكية الداكنة . قال :

— أما المواجهة فلا قبل لك بها لأنه يملك كل السلطات التى تخول له تنفيذ كل مايراه وخاصة البطش بخصومه ..

تدخل ساهر قائلا :

— لم يتبق لدينا سوى سياسة الاحتواء، لكننى أراها صعبة بل ومستحيلة مع أمثال عادل الذى يظن نفسه رسول العناية الالهية لانقاذ الانسانية المعذبة : كما أنه يعلم جيدا مواقفنا منه فى صراعه مع عبدالعظيم الدمنهورى .

قام عبدالحق وأطفأ نور الصالون وعاد للجلوس فى ضوء القمر والنجوم المتناثرة حوله : قال :

— إن النصر فى أية معركة يعتمد أساسا على معرفة المداخل الصحيحة المؤدية مباشرة إلى قلب الخصم .

علقت فتنة فى يأس :

— أمثال عادل ليس لهم قلب أساسا : وإذا وجد فالمداخل اليه مستحيلة وخاصة بعد أن أصبح على رأس الشركة والكل تحت أمره .

أضاف ساهر :

— وخاصة أن فتنة منفية الآن فى القطب الشمالى فى حين يقتلنى الجليد فى القطب الجنوبى ولانعرف شيئا عما يدور فى مكتب رئيس مجلس الادارة.

قال عبدالحق :

— عندك حق : . لكنني على الأقل مازلت فى قلب الموقع . فهو لايستطيع أن يمسنى من قريب أو بعيد : . وأظن أنه أدرك أن القطاع المالى والتجارى لا يستطيع أن يتحرك قيد أنملة بدونى :

تساءل ساهر :

— وهل استطعت استكشاف مداخل جديدة من موقعك ؟ !

قال عبدالحق مبتسما فى حسم :

— لاتنس أن عم جعفر لايزال ساعى مكتبه وأنه يمدنى بأخباره أولا بأول .

اتسعت عينا فتنة فى شوق متسائل :

— ماذا قال ؟!

ابتسم عبدالحق قائلا :

— بهذه الروح نستطيع البدء فى العمل . قال لى جعفر أنه تصنت على حوار دار بين عادل ورأفت عبر فيه عادل عن قلقه تجاه زيارة الوفد الهولندى الذى سيصل الأسبوع القادم ، وذلك عندما رفض رأفت اعتماد بند لشراء هدايا لأعضائه مذكراً عادل بمواقفه القديمة تجاه هذه القضايا .

لم يستطع ساهر التزام الصمت فقال متسائلا :

— وماذا كان رأى عادل ؟

قال عبدالحق :

— رضخ لرأى رأفت لكنه عبر عن خوفه من عدم وجود مترجم يجيد اللغات التى يتحدث بها الوفد وخاصة أن الأنجليزية التى يتحدث بها كل منها لاتسعفها فى التعبير عن الموضوعات الفنية بصفة خاصة . فكان رد رأفت

الزاخر بالعنجهية الفارغة أنه مادام أعضاء الوفد لايعرفون كلمة واحدة من العربية فليشكروا الظروف أنهم وجدوا من يتعاملون معه ولو بانجليزية ركيكة .

سألته فتنة :

— وهل رضخ عادل لهذا التحدى السافر ؟!

أجاب عبدالحق :

— رضخ ولكن على مضض .

طرحت فتنة سؤالها التالى وقد تحولت إلى طاقة متحفزة :

— وهل يعرف عادل أننى أجيد الإنجليزية والفرنسية والألمانية ؟

ضحك عبدالحق قائلا :

— هذه هى فتنة التى أعرفها جيداً . لقد بدأت فى استرداد لياقتك ! !

تجاهلت فتنة تعليقه وأعادت السؤال بتحفز أشد فقال :

— طبعاً . الشركة كلها تعرف براعتك فى اللغات الأجنبية . .

دبت الحيوية فى أوصال ساهر الذى تساءل :

— وماذا عن ترتيبات إقامة الوفد بالفندق والانتقالات والزيارات والرحلات ؟! إن رأفت هذا لايعلم شيئاً عن مثل هذه الإجراءات !

أجاب عبدالحق فى ثقة متناهية بما يقول :

— لابد أن هناك ارتباكا فى كل شىء يحاول عادل تغطيته معتمداً فى هذا على شعبيته بين العمال ، شعبيته التى جعلت إنتاج الشركة هذا الشهر يصل إلى أرقام قياسية لم تتحقق من قبل .

تساءلت فتنة بدورها :

— إنى أرى مدخلا قد بدأ فى الانفتاح لى . لكن كيف أحضر مثلا الحفل الذى سيقام للوفد ولم يذكر أحد سيرته أمامى بصفة رسمية ؟ !

أجابها عبدالحق :

— وهل أنت فى حاجة إلى دعوة ؟! إنك الآن فى قسم العلاقات العامة والمفروض أن مثل هذه الحفلات والمناسبات من صميم اختصاص هذا القسم .

ابتسمت فتنة ابتسامة مضيئة ولم تتمالك سوى أن تقوم من على مقعدها نصف قومة وتقبل عبدالحق قبلة سريعة فى وجنته وهى تقول :

— لقد منحتنى ياعبدالحق بك كلمة السر التى ستفتح المغارة .

عادت فتنة إلى جلستها فى حين نظر عبدالحق متلصصا خلفه خوفاً من أن تكون زوجته أو أحد من أبنائه قد لمحه من الداخل . لكن قلقه سرعان مازال وسر لحكمته فى إطفاء نور الصالون . فقد استمتع بالقبلة وأنفاس فتنة اللافحة فى حين تشاغل ساهر بمتابعة القمر خلف السحب الخفيفة الشفافة . وعندما عادت الأمور إلى مجاريها أضاف ساهر :

— وبصفتى فى قسم الدعاية والإعلان فمن الضرورى حضور الحفل حتى يمكننى شرح مميزات إنتاجنا لضيوفنا الأجانب ..

ضحك عبدالحق معلقاً :

— ها قد عادت البطانة لتردد أعذب الألحان .

(١٤)

تلألأت قاعة الفندق الفاخر بأنوار الثريات السابحة . وامتزج رنين الضحكات برائحة العطور الباريسية .وقف عادل وأشجان مع رئيس الوفد الهولندى وزوجته يتبادلون الحديث الذى تحول فى معظمه إلى إشارات وابتسامات . كان عادل يرتدى لأول مرة فى حياته حلة سوداء وقميصاً أبيض عليه رُباط عنق أحمر ، وبرغم القاعة المكيفة الهواء فقد أحس بقطرات العرق تتسلل من تحت قميصه . أما أشجان فقد ارتدت فستان زفافها الأبيض بعد أن أجرت فيه الإصلاحات اللازمة لتحويله إلى فستان سهرة بقدر الإمكان ولم تخف عليها نظرات عادل القلقة إلى فستانها من حين لآخر . أما رئيس الوفد الهولندى فقد ارتدى حلة بسيطة كحلية اللون فى حين ارتدت زوجته العجوز ثوبا وردياً ضاعف من بياض بشرتها ، بحيث ظلت أشجان طوال السهرة تقارن بين البياض الهولندى والاسمرار المصرى .

لم يكن رئيس الوفد الهولندى– لسوء حظ عادل– يعرف سوى الفرنسية بالإضافة إلى لغته الأصلية . وقد حاول عادل قدر طاقته استرجاع الجمل الفرنسية التى نسيها منذ أن انتهى من دراسته الثانوية حتى لو تذكر منها مالا

لايفيد فى الرد على ضيفه ، لكنه لم يتذكر سوى ثلاث كلمات : نعم أو لا أو ربما . أما زوجته أشجان فقد لاذت بالصمت الرهيب وتبادل الابتسامات والإيماءات من حين لآخر مع زوجة ضيفها الذى أحس بحرج الموقف فبدأ فى الإقلال من الكلام والاكتفاء بالابتسامات والإيماءات ثم الحديث بالهولندية مع زميل له فى الوفد ، فى حين مال عادل على رأفت الذى كان يقف بجواره وقال :

— هل سيقتصر الحوار على الابتسامات والايماءات وإذا فتح الله علينا فاننا لانجد سوى « نعم » أو « لا » أو « ربما » ؟!

أجاب رأفت ببساطة عفوية :

— لايهم مادمنا نعرف ماذا يريدون . وهم يعرفون بدورهم ماذا نريد ! !

لم يسترح عادل لهذه الإجابة وقال :

— لايمكن أن تسير الأمور على هذا النهج العشوائى . إن مظهرنا لايوحى بالثقة وخاصة فى مواجهة الأجانب .

لم يجب رأفت بل أشاح بوجهه بعيداً عن عادل هربا من التوتر الذى ساد الموقف . كذلك أحست أشجان بالوقت يمر بطيئاً ثقيلا فى هذا المحال الذى لم تخلق له . وكانت قد سمعت الحوار بين عادل ورأفت فزاد حرجها وشعرت بقطرات العرق تشع من جبينها فأخرجت منديلها ومسحتها فأزالت معها البودرة التى كان عادل قد طلب منها قبل مغادرة المنزل الإكثار منها حتى تقلل من اسمرارها بقدر الإمكان . لقد جرحتها الملاحظة العابرة التى ألقاها عادل وكأنه رأى أشياء لم يرها من قبل ، لكنها نفذت كلامه لأنه أدرى بمظاهر منصبه .

أما فتنة فكانت تقف بالقرب من مدخل القاعة وقد ركزت بصرها على عادل فى حركاته وسكناته مثلما يتربص القط المتحفز بالعصفور الذى يقفز قفزات عشوائية .

كانت ترتدى ثوباً أسود تحتك حوافيه بالسجاد الفاخر ، لكن مفرق صدرها البض الأبيض كان قد أصبح أكثر جرأة فى حين كشف ظهرها عن وجهه تماما برغم شعرها الذهبى المسدل حتى منتصفه . كان بريق عينيها الخضراوين أشد وطأة تحت أنوار الثريات التى أضاءت بشرتها المرمرية بحيث جذبت إليها الأنظار الأجنبية قبل المصرية برغم وقوفها بعيداً عن منتصف القاعة .

تقدمت فتنة بخطوات واثقة تحيي من يحييها وتبتسم لمن يبتسم لها إلى أن أصبحت على مقربة من عادل . لمحها رأفت فأحس بغصة فى قلبه وخاصة عندما وجد رئيس الوفد الهولندى يستدير بعينيه تجاهها كما لو كانتا مشدودتين إليها بأسلاك خفية ممغنطة . انتهزت فتنة الفرصة واقتنصتها بابتسامة رقيقة للضيف استجاب لها بابتسامة أكثر رقة وسأل عادل بالفرنسية :

— مصرية ؟ !

تضايق عادل فى أول الأمر لكنه سرعان ما سعد لأن الإجابة على السؤال لا تحتمل سوى إجابة من كلمة واحدة من الكلمات الثلاث الفرنسية التى يعرفها . أجاب :

— نعم ..

اقتربت فتنة وحيت الجميع بإيماءة رشيقة من رأسها التى أسدلت بعض خصلات ذهبية على وجهها فأزاحتها بيدها اليسرى . سألها رئيس الوفد بالفرنسية :

— هل تعملين بالشركة ؟ !

أجابت فتنة بفرنسية أكثر فرنسة :

— سيدى . أنا أعمل بقسم العلاقات العامة بالشركة ..

قال مبتسما فى سعادة :

— تتكلمين الفرنسية كأبنائها ؟ !

أجابت وقد بدأت تتيه بنفسها عندما لاحظت أن أنظار الجميع عليها وخاصة عادل وأشجان التى بدا عليها الإجهاد :

— كانت تربيتى فى مدارس فرنسية كما أننى تعلمت الإنجليزية والألمانية. لكننى للأسف شغلنى الزواج عن إكمال تعليمى العالى برغم أننى لم أستمر فى الزواج بعد ذلك ..

ضحك الضيف الهولندى قائلا :

— الأزواج لايحتملون الجمال عندما يزيد على الحد ! !

ابتسمت فتنة وقد بلغت بها النشوة قمتها . عندئذ قال الضيف لعادل :

— الآن نستطيع أن نتكلم فى كل تفاصيل مشروعاتنا المشتركة ؟ !

وطلب من فتنة أن تترجم لعادل ما قاله فترجمته فى الحال . واسترسل الحديث بين عادل وضيفه برغم ضيقه فى أول الأمر بتسلل فتنة الزئبقى ، لكنه مع اطراد الحديث تفتحت الآفاق واستراح تماما لوجود فتنة المتألقة ونسى زوجته المنزوية التى تراجعت خطوتين إلى الخلف .

لم يحتمل رأفت تألق فتنة فانسحب إلى الخلف حيث كان يقف درويش الحائر المنعزل الذى لم يتبادل كلمة واحدة مع أحد ، ولم يعرف مجرد الحكمة فى وجوده فى مثل هذا المكان . قال رأفت لدرويش :

– أرأيت ياعم درويش كيف تسلت كالزئبق البراق الذى يراه الإنسان لكنه لايشعر به ؟ !

قال درويش وقد تجلى اليأس والإجهاد فى عينيه الجاحظتين :

– إنها لاتهمنى على الإطلاق ولكن مايهمنى أن عادلا استراح للخدمة التى تقوم بها وهذه بداية لاتبشر بالخير ..

جحظت عينا رأفت تجاه مدخل القاعة فنظر درويش فى نفس الاتجاه فرأى ساهراً يدخل وقد ارتدى حلة بيضاء فى منتهى الأناقة وسار نحو الأستاذ عبد الحق الذى كان واقفاً على مقربة من مجموعة عادل يراقبها بنظارته السلكية الداكنة . صافحه فى حرارة عجيبة وتبادل الاثنان بعض الكلمات ثم نظرا فى اتجاه عادل وفتنة وبدت عليهما علامات الارتياح والسعادة مما جعل رأفت يقول لدرويش :

– أكاد أشم رائحة خطة محكمة للإيقاع بعادل ! !

قال درويش :

– يبدو أن الطريقة الوحيدة للقضاء على الحية تحتم تحطيم رأسها ..

أضاف رأفت :

– قد يظن عادل السم عسلا ..

نظر الاثنان تجاه عادل فوجداه ضاحكا مبتهجا مع فتنة وضيوفه فى حين انزوت أشجان التى امتزجت بشرتها السمراء بصفرة داكنة غريبة .

(١٥)

فى تلك الليلة لم يتسلل النوم إلى جفون عادل بمجرد أن استرخى فى سريره برغم أنه كان مجهداً للغاية . كانت ليلة غريبة . حتى سلوك أشجان لم يكن طبيعياً لدرجة أنها لم تتبادل كلمة واحدة معه داخل العربة المرسيدس فى طريق عودتهما إلى المنزل . أحس بها فى العربة وكأنها طائر حبيس فى قفص . ربما كان إحساسا كاذباً لكن الليلة الغريبة صبغت كل شىء بلونها . فى أول الأمر أنب نفسه على أنه ترك صورة فتنة فى مخيلته تطغى على ما عداها من صور بثوبها الأسود الطويل ومفرق صدرها البض الأبيض وظهرها المرمرى . تذكر أول يوم رأى فيه هذا المفرق فى مكتب عبدالعظيم الدمنهورى الذى أصبح مكتبه الآن . ابتسم واستسلم للنوم على الطرف الأيسر للسرير فى حين كانت أشجان قد انكمشت على الطرف الأيمن وهذا حدث لأول مرة . فقد تعود أن يقبلها وأن يقول لها : « تصبحين على خير » على أقل تقدير . لكنها نامت ويبدو أنها لم تستسلم للنعاس . كانت تتحرك حركة هادئة لكن فى توتر بدا فى تنفسها غير المنتظم .

استسلم عادل للنوم وللأحلام التى كانت فتنة بطلتها . صورتها المتألقة وحديثها الطلق وانبهار الضيوف بها . ولأول مرة التمس عادل العذر للمرحوم عبدالعظيم الدمنهورى فى اعتماده عليها واعتزازه بها . فلا شك أن جزءاً كبيراً فى نجاح زيارة الوفد الهولندى يرجع إليها ولذلك بدأ يفكر فى اصطحابها معه فى رحلته القادمة إلى هولندا . ولن تحوم حوله الشبهات لأنه سيصطحب زوجته معه أيضاً .

استيقظ عادل من نومه مبكراً وهو فى دهشة لهواجس الليل . لم يجد أشجان نائمة . نهض مذعوراً باحثاً عنها فوجدها تبتلع قرصاً بنصف كوب ماء وعندما سألها قلقاً عليها قالت إنه قرص أسبرين لصداع خفيف . كانت ترتدى نفس قميص النوم الأخضر الذى ارتدته ليلة زفافها وقد بدا جسدها تحته نحيفاً ضامراً . وسرعان ماهاجمته صورة فتنة المتألقة . طردها بسرعة وحاول تقبيل أشجان واحتضانها كما تعود كلما وجدها مجهدة أو متوعكة ، لكنه لم يتقدم خطوة تجاهها وقال لها :

— سأذهب إلى المكتب مبكراً اليوم للتحضير لرحلة هولندا . فرئيس الوفد الهولندى يريد كل تفاصيل تنقلاتنا هناك قبل أن يعود إلى بلاده غداً .

ردت أشجان فى اقتضاب :

— تصحبك السلامة ..

وعادت إلى السرير للاسترخاء فى حين أسرع عادل إلى ارتداء ملابسه وهو ينظر من حين لآخر إلى المنبه الموضوع فوق الكومودينو بجوار السرير . وبمجرد أن سمع محرك عربته أسفل الشقة هبط مسرعاً بعد أن قبل أشجان فى جبهتها ، بعد ذلك نهضت أشجان لارتداء ملابسها هى الأخرى استعدادا للذهاب إلى عملها .

فى المكتب كان أول شيء عمله عادل أن طلب من رأفت توصيله بفتنة. انقبض قلب رأفت لكنه سعد عندما علم أن فتنة لم تصل بعد إلى مكتبها. أحس عادل بقلق غريب لم يسترح له وطلب من رأفت توصيله بها عندما تصل إلى مكتبها لكن رأفت تجاهل الطلب وتناساه مما جعل عادلا يطلب الطلب نفسه بعد نصف ساعة قضاها فى مطالعة صحف الصباح وجاءت فتنة على الخط الداخلى فاذا بعادل يتلعثم وهو يشكرها على ماقامت به من خدمات فى الليلة الماضية ، فأكدت أنه لا شكر على واجب، ثم طلبت مقابلة لن تزيد على خمس دقائق . رحب عادل بالمقابلة وأكد لها أن مكتبه مفتوح لجميع أبناء الشركة .

بعد دقائق كانت فتنة تقف أمام رأفت الذى فوجئ بها . طلبت منه السماح لها بالدخول لكنه قال لها إن كل المقابلات لاتتم إلا بمواعيد سابقة . لم تتراجع لحظة بل أكدت له أنها جاءت بناء على ميعاد تحدد منذ دقائق . لم يرضخ رأفت بل نهض قائلا انه سيسأل رئيس مجلس الإدارة أولا . لم ينتظر إجابتها بل فتح الباب ودخل وبمجرد أن وجدت فتنة الباب مواربا دخلت فى أعقاب رأفت الذى قال لعادل متسائلا :

– هل صحيح أنك طلبت ...

لم يكمل رأفت سؤاله عندما وجد نظرات عادل مركزة فى اتجاه آخر ومصحوبة ببوادر ابتسامة . نظر رأفت فى الاتجاه نفسه فوجد فتنة تقف خلفه . أدرك الموقف كله فى لحظة وتراجع إلى الخلف ثم خرج وأغلق الباب والدماء الساخنة تتصاعد إلى رأسه بحيث رأى ما يشبه الأبخرة أمام عينيه .

جلست فتنة على المقعد المقابل لمكتب عادل وهى تقول بمنتهى الجدية :

— لن أضيع من وقت سيادتك ياعادل بك أكثر من دقائق معدودة لأنني أدرى بمسئوليات المنصب الجسيمة .

استمتع عادل بصبت فتنة وهي تقول له « ياعادل بك » . فكر في فتح علبة الشيكولاته وتقديمها إليها لكنه تذكر أنه رئيس مجلس الإدارة فتراجع وقال لها متباسطاً :

— قلبي مفتوح للجميع . فأنا واحد منهم برغم وجودي في هذا المنصب.

لم تتذرع فتنة بأية مقدمات بل اقتحمت الموضوع مباشرة :

— جئت إلى سيادتك لإزالة أي سوء تفاهم يكون قد حدث في الفترة الماضية . فأنا شخصياً ليست لي أية أطماع . فأنا أصلا من أسرة ميسورة الحال ولم أحصل على مؤهل عال يساعدني على الوصول إلى مناصب أعلى. لكنني أعمل لأنني لا أستطيع أن أظل عاطلة وقد منحني الله طاقة كبيرة . المهم أن أعمل وفي أي موقع سواء في مكتب رئيس مجلس الإدارة أو في قسم العلاقات العامة أو في أي موقع آخر . ولذلك عندما نقلتني سيادتك إلى هذا القسم لم أتضايق وأدركت في الحال أن سيادتك ترى مصلحة العمل أفضل مني وخاصة أنني أحب القيام بعملي كجندي مجهول . أنا لا أحب الشهرة ولا الأضواء وإلا كنت قد وافقت على عروض أكثر من مخرج رآني في النادي للعمل في السينما . نحن من عائلة محافظة وكان جدي من البشوات الذين انكمشت ملكيتهم مع قوانين الإصلاح الزراعي مما جعله يموت بالقلب . تماما مثل عبد العظيم بك الدمنهوري . ولكن تعددت الأسباب والموت واحد . كذلك لم أكن موفقة في حياتي الزوجية فتم طلاقي بعد فترة وجيزة من زواجي . ولم أتزوج منذ ذلك الوقت لأن كل من تقدم لي كان راغباً في جمالي فقط . والجمال سلعة تزول قيمتها بمجرد التعود عليها .

صمتت فتنة وهى تنظر إلى عادل نظرات تمزج الكبرياء بالدلال . لم يحتمل عادل وطأة الشحنة الكامنة فى الصمت فكسره بقوله :

ـــ وفقك الله فى الحصول على الإنسان الذى يقدرك حق قدرك .

لم تتجاوب فتنة معه فى الحديث بل استمرت كأنه لم يقل شيئاً :

ـــ كذلك فاننى أرغب فى إزالة أى سوء فهم يكون قد دار حول زميلى الأستاذ ساهر فقد كان عبد العظم بك الدمنهورى ثالث رئيس مجلس إدارة يخدمه ساهر بكل طاقته . أما الإشاعات التى ربما تكون قد دارت حوله أو التى ربما تكون قد وصلت إلى أسماع سيادتك فكلها مجرد وشايات حقيرة مصدرها الحقد الأسود الذى يحيط بكل الناجحين . فهذه هى ضريبة النجاح والإخلاص.

صمتت فتنة للمرة الثانية وهى تسلط عينها على عادل الذى تشاغل بالنظر إلى صحف الصباح المتناثرة فوق مكتبه وقال :

ـــ هذه التنقلات تحدث فى أى مجال من مجالات العمل . ولا أحد يستطيع الاستمرار فى موقعه إلى الأبد . فهذا ضد الطبيعة . وأنا نفسى لا أعرف كم سأظل فى موقعى هذا . كل شىء ممكن .

قالت فتنة فى حسم :

ـــ أرجو من سيادتك ألا تفهم كلامى هذا على أنه محاولة منى للعودة مع ساهر إلى مكتب سيادتك .. صحيح أن خبرة ساهر فى إدارة المكتب قد شهد لها الرؤساء الثلاثة الذين تتابعوا على الشركة لكنه أخبرنى أنه سعيد بعمله فى قسم الدعاية والإعلان لأنه لا يبذل أى مجهود يذكر وقد تفرغ الآن لممارسة الرياضة فى النادى .

ابتسم عادل وهو يقول بلهجة دبلوماسية :

— تهمنى جداً راحة الذين يعملون معى حتى يستطيعوا مضاعفة الإنتاج وتحسين مستواه .

استمرت فتنة فى الهجوم وغزو القلاع المغلقة :

— لكن لاتنس ياعادل بك أن ساهراً لاينتج شيئاً الآن !

أحس عادل بالمنزلق الذى تقوده إليه فتنة لكنه تدارك الأمر عندماتذكر أنه رئيس مجلس إدارة يخاطب مجرد موظفة تحت إمرته . قال متسائلا فى شىء من الحسم :

— فليكن فى اعتبارك أننى لا أحمل أى سوء فهم لك أو لساهر أو لأى موظف أو عامل فى الشركة . أهذا كل ماكنت تريدين قوله ؟!

أدركت فتنة بغريزتها أن عادلا قد قرر وضع حد للحوار ، فقررت هى بدورها الاكتفاء بهذا القدر من الغزو ونهضت قائلة :

— أرجو ألا أكون قد أضعت من وقت سيادتك ياعادل بك أكثر من اللازم . وعلى كل حال أنا وساهر تحت أمر سيادتك فى أية خدمات : ترجمة . تجهيز . ترتيب . تنظيم .. أى شىء تأمر به .

نهض عادل مادا يده لها قائلا :

— أشكر لك ولساهر هذه الروح . وسأطلبكما إذا احتجت إليكما وخاصة فى الإعداد لرحلة هولندا .

ابتسمت فتنة فى منتهى العذوبة وهى تضغط على يده قائلة وقد أرخت جفونها :

— يكفينى شرف هذه المقابلة .. فأنا لم أكن أحلم بأكثر من هذا !

شد عادل يده من يدها فى رفق قائلا :

– شكراً .: صحبتك السلامة .

استدارت وسارت الهوينى حتى خرجت من الباب الذى أغلقته خلفها فوجدت كلامن رأفت ودرويش وقد جلسا متقاربين يتهامسان همسات توقفت بمجرد خروجها . ابتسمت لرأفت قائلة :

– شكراً يارأفت بك .

ثم خرجت وقد عبق عطرها المكان فى حين شيعتها نظرات الحنق .

(١٦)

لم يعد عادل يستريح لتدخل رأفت فى إدارته للشركة . فهومهما كان صديقاً ورفيقاً فى الكفاح فانه يتحتم عليه أن يعلم جيداً أنه مجرد مدير لمكتبه وأن فى استطاعته أن ينقله فى أية لحظه . لكن مايمنعه من هذا أن العمال سيتهمونه بالجحود بعد أن سانده رأفت بكل قواه . كذلك فان عم درويش لايعرف ماذا يفعل بوظيفته كسكرتير ؟! ويبدو أن قراره بتعيينهما كان نتيجة للحماس الذى أعقب تعيينه رئيساً لمجلس الإدارة ، أما إدارة الأعمال الضخمة فلها حسابات أخرى ليس لها علاقة بالحماس . وخاصة أن معظم من تعاملوا مع مكتبه سواء من المصريين أو الأجانب اشتكوا من عدم كفاءة المشرفين عليه . وهذا شيء طبيعى . فخبرة رأفت متركزة فى معمل التحاليل وإجراء الاختبارات المعينة فى حين قضى عم درويش حياته فى الحياة النقابية للعمال دفاعا عن حقوقهم مما أدى به ذات مرة إلى السجن فى عهد آخر وزارة من وزارات الوفد .

ومع ذلك لايستطيع أن يقول لهما مع السلامة . فكر عادل كثيراً فوجد أن الحل الأمثل أن يعرف كل واحد حدوده ووظيفته ، أما من يرفض

هذه الأصول فليبحث عن العمل الذى يناسب مؤهلاته وإمكاناته . ولذلك قرر وضعها موضع الاختبار فيما يتصل برحلته إلى هولندا واختياره فتنة لمرافقته . إنه لايؤمن بتقسيم الناس إلى أهل ثقة وأهل خبرة ، إذ كيف يثق فيمن لا خبرة له ؟! إنه يمكن أن يرسله إلى الجحيم بحسن نية. إن الفشل لابد أن يكون حاصل ضرب انعدام الخبرة بحسن النية . وقد قرر ألا يفشل وألا يسير فى الطريق المفروش بالنوايا الطيبة إذ أنه يؤدى إلى الجحيم .

لم يكن رأفت بدوره سعيداً بمنصبه كمدير لمكتب عادل.لم يجد فى المنصب الإدارى الذى حسده عليه الكثيرون أية متعة بسبب عقليته العلمية الفنية . كانت أسعد لحظات حياته فى الشركة أن يصل إلى نتيجةجديدة بعد تحاليل وتجارب يقوم بها فى المعمل . صحيح أن روحه الثورية جعلته يقف بكل قواه خلف عادل ، لكنه لم يتصور أن يصل به الأمر إلى الجلوس إلى مكتب والرد على المكالمات وتحديد المقابلات وتنظيم الاجتماعات والترحيب ببعض الوجوه الكالحة التى لم يكن يطيق مجرد النظر إليها قبل عمله هذا . وإذا كان دخله الشهرى قد تضاعف بسبب البدلات والحوافز فان المال لم يكن يشكل هدفاً أساسياً فى حياته برغم طبقته الاجتماعية المتواضعة . إن المثقف الثورى عندما يقنع بتحسن أحواله المادية الشخصية أو يرضى بعمل إدارى لا يمت إلى الفكر الإبداعى بصلة ، فانه يفقد ثوريته وثقافته فى آن واحد . ولن يرضى رأفت لنفسه أن يتحول إلى موظف مهما كان كبيراً حتى لو أغضب عادلا منه ، بل إن الفجوة بينهما آخذة فى الاتساع منذ نجاحه فى تولى رئاسة الشركة ، وبعد أن كان يستشيره فى كل كبيرة وصغيرة كرفاق كفاح ، أصبح يأنف من ذلك ، بل إنه يتجاهل رأيه لو تطوع به من نفسه . ثم بلغت المأساة قمتها بدخول فتنة الحلبة مرة أخرى وخلفها ساهر وعبدالحق . ونسى عادل أو

تناسى كل ماضيهم الملوث لمجرد أن الوفد الهولندى فى حفل الاستقبال أعجب بمنظرها الخادع . بل إنه رفض اقتراح رأفت بنقل جعفر ساعى المكتب بحجة أنه يعرف جيداً عمله ويتقنه برغم أنه يعلم جيداً أنه كان جاسوس عبد العظيم الدمنهورى ، ولابد أنه الآن جاسوس البطانة نفسها . لقد أدرك رأفت أنه وصل مع عادل إلى مفترق الطرق .

أما درويش فقد شعر لأول مرة أنه أهبل فى زفة . صحيح أنه يستمتع بامتيازات لم تكن متاحة له من قبل ، لكن نظرات الآخرين إليه لم تعد مريحة بعد أن كانت زاخرة بالحب والتقدير والإعجاب . هل هى الغيرة أم سوء الظن أم سوء النية ؟! كان أمراً عجيباً أن يحل درويش محل فتنة ، وكان من المحتمل أن يزول هذا التعجب مع مرور الأيام ، لكن ما حدث وما يحدث هو عكس ذلك تماما ، فان التعجب يزداد مع الأيام ويجر معه السخرية الخفية والابتسامات الوقحة والنفاق المكشوف . ولاشك أنه منح الآخرين هذه الفرصة بقبوله منصبا لايعرف كيف يديره لأنه يحتاج إلى مؤهلات وإمكانات لم ولن يحصل عليها بعد أن قرب من الستين . كان معبود العمال فى تلك الأيام الخوالى التى أصبح يحن إليها حنينا قاتلا .

أما أشجان فإنها أحست احساسا خفياً بأنها فقدت عادلا يوم فاز برئاسة مجلس الإدارة ليس لأنه جاحد أو غير أصيل ولكن لأن الإنسان بطبيعته الضعيفة لايستطيع أن يكون سيد موقفه بصفة مستمرة ،وخاصة فى مواجهة الإغراءات الضخمة كالثروة أو المنصب . لقد وجد نفسه فى منصب مغر لم يكن مؤهلا له، وكان عليه أن يملأ المنصب مدفوعاً بنواياه الطيبة فى تحقيق ما عجز عن تحقيقه من قبل ، وذلك بعد أن أصبح التفكير والتنفيذ رهن إشارته . لكن يبدو أن النوايا الطيبة شىء واستيعاب الظروف المحيطة

المستجدة شيء آخر تماما . والعجيب أنه طالما ضحك وهو يردد لأشجان مثله المفضل : الطريق إلى الجحيم ممهد بالنوايا الطيبة . وذات مرة قالت له إن الراحة المادية التي حصلت عليها كانت على حساب راحتها النفسية ، وإذ به يتكلم كرجال الأعمال قائلا ان لكل شيء ثمنا لابد أن يدفع بطريقة أو بأخرى . إنها الآن تذهب إلى عملها في العربة المرسيدس السوداء ، لكنها تجلس وحيدة في حين لايفعل الأسطى ربيع شيئاً سوى أن يسرع بفتح الباب لها سواء في الركوب أو الهبوط وهو يقول : تفضلي ياهانم . في حين كانت تجلس في أتوبيس الشركة تشاغب زميلاتها وتملأ الدنيا ضحكا وسخرية حتى الوصول إلى الشركة . وقد حاول عادل أن ينقلها إلى شركته لكنها أصرت على الرفض حتى لايمسه أحد بكلمة ، ثم رأت فيما بعد حكمة أعمق لهذا الرفض عندما شعرت أنها تفقد كيانها الخاص بها شيئاً فشيئاً كلما وجدت في مجال عمله ، برغم أن وجودها اقتصر على الحفلات والمناسبات الشكلية . ولو كانت وافقت على النقل إلى شركة عادل لكانت قد تساوت بم درويش الذي أصبح النكتة المفضلة عند معظم العاملين . إنها على الأقل لاتزال تملك العمل الخاص بها والذي أثبتت فيه وجودها بلا مساعدة أو مساندة أو وساطة من أحد .

لكن المأساة الحقيقية في حياتها تمثلت في أن عادلا لم يعد يشعر بوجودها في حياته . ليس لتقصير منها ولكن لأن قوة الجذب الكامنة في المنصب كانت أقوى منها ومنه . ولقد التمست له العذر في أول الأمر ، لكنها منذ الاحتفال بالوفد الهولندي ، أدركت أن إغراءات المنصب في عيني عادل أصبحت أقوى من إغراءات السعادة الزوجية ، لم تشعر بأية غيرة تجاه فتنة التي لابد أنها أثرت على تفكير زوجها ، فهي تؤمن بأنه لو انقاد زوجها خلف

فتنة فذلك لايرجع إلى جاذبيتها التى لاتقاوم ، ولكن يرجع إلى ضعف شخصية زوجها، وزوج بهذه الشخصية الضعيفة لابد أن يكون على استعداد لأن ينقاد وراء أية امرأة مغرية أخرى ، وهى لن تقضى حياتها حارساً خاصاً له فى مواجهة أية امرأة أخرى فلابد أن تنبع مناعته من الداخل .

لم يعد لعادل أى وقت فراغ يقضيه مع أشجان. وأصبحت مسئوليات المنصب الكلمة المفضلة لديه يتشدق بها كاللبانة فى مناسبة أو غير مناسبة . لدرجة أنها رجته ذات مرة أن يذهب معها لزيارة أمها التى كانت مريضة فطلب منها الذهاب نيابة عنه لذهابه إلى مكتبه لإنجاز بعض الأعمال العاجلة . وبعد ذلك أصبحت السلوى الوحيدة لأشجان هى زيارة أمها ولقاء إخوتها واسترجاع ذكريات الصبا ومشاهدة التليفزيون . ولم يخطىء قلب الأم الإحساس بحالة ابنتها وعندما طلبت منها أن تشد حيلها وتنجب طفلا يملأ عليها حياتها أخبرتها بأن زوجها قرر تأجيل هذا الموضوع لحين الاستقرار فى عمله حتى يستطيع أن يتفرغ بعض الشىء لتربية المولود . أما الأب فقد التزم الصمت ودعا الله من قلبه أن يصون ابنته وأن يحفظ لها زوجها .

لم تكن أشجان متفائلة تجاه المستقبل ، فان ما يجرى أقوى من أن تواجهه. لقد تعودت قبول التحديات والصمود فى مواجهة التيارات العاتية، يكفى وقوفها مع عادل فى معركته ضد عبدالعظيم الدمنهورى ولم تكن قد تزوجته بعد. أما السؤال الذى يلح عليها الآن فهو : كيف تحارب من أجل عادل فى حين أنه أصبح فى غنى عن خدماتها؟! لقد أصبح الجميع فى خدمته، لانهم إذا كانت الخدمات بهدف التقرب والزلفى إذ أن المحصلة النهائية واحدة . إنه يطلب منها حضور الحفلات والمناسبات التى تقيمها الشركة للضيوف الأجانب، فقط لأنهم يحضرون زوجاتهم معهم. فالعملية أساسا مجرد مظاهر

وشكليات ولن ترضى أشجان لنفسها أن تصبح مجرد شكل أو مظهر من مظاهر حياة عادل . ويوم تتأكد أن وجودها فى حياته أصبح مثل عدمه فستطلب الانسحاب فى هدوء دون حقد أو كراهية . فهى من الواقعية بحيث تعتقد أن الحياة التى جمعت بينهما يمكن أن تفرق بينهما أيضاً وهى لم تستطع أن تتخلص من هذا الإحساس المتشائم منذ أول صباح فى حياتها الزوجية عندما أيقظها زوجها على خبر وفاة عبدالعظيم الدمنهورى وذهابه إلى العزاء فى أول يوم من أيام شهر العسل . فالحياة التى يمكن أن تجمع بين الفرح والحزن ، بين الزواج والموت فى لحظة واحدة لابد أن نتوقع منها أى شىء وكل شىء . ولذلك لم تشعر أشجان بنار الفشل بقدرما أحست ببرودة اليأس والإستسلام تسرى داخلها وتعدها لما سوف يحدث مهما كان :

(١٧)

استدعى عادل إلى مكتبه كلا من رأفت ودرويش بعد أن أضاء المصباح الأحمر مما جعل رأفت يشعر أن لحظة المواجهة والمكاشفة قد حلت بحيث أعد نفسه لها . جلس الاثنان فى مواجهة عادل الذى قال لهما :

– لقد انتهيت من التكوين المبدئى للوفد الذى سيصحبنى فى رحلتى إلى هولندا ، وراعيت فيه أن يكون على أعلى مستوى من الكفاءة حتى تنجح الرحلة .

صمت عادل عندما رأى نظرات رأفت غير المريحة وخاصة عندما قال « رحلتى إلى هولندا » . لكن رأفت لم يعلق وكذلك درويش الذى التزم الصمت . حاول عادل أن يتخطى حاجز الصمت فسأل رأفت :

– لم تسلنى عن الأعضاء الذين وقع عليهم الاختيار ؟!

أجاب رأفت بدبلوماسية خبيثة :

– طالما أن الاختيار وقع فقد حسم الأمر وانتهى .

قال عادل مركزا عينيه عليه :

– قلت فى أول كلامى إنه تكوين مبدئى للوفد .. ولقد آن الأوان يا رأفت أن تسافر للخارج لأول مرة فى حياتك وأن ترى الدنيا التى سمعت عنها كثيرا ..

لم يترك رأفت المناسبة لتضيع منه وقال :

– وهى أول مرة لك أيضا يا باشمهندس ..

لم يسترح عادل للقب « الباشمهندس » فهو الآن « عادل بك » فى نظر الجميع ، كذلك لم يسترح لأسلوب رأفت الذى اقترب من حد الوقاحة على الرغم من أنه لم يقل سوى الحقيقة التى يعرفها جيدا . تجاهله والتفت إلى درويش :

– وأنت ياعم درويش .. هل تريد السفر معنا ؟ أم تفضل البقاء لمباشرة المكتب فى غيابى ؟ !

أجاب درويش دون أن ينظر إلى عادل :

– الرأى رأيك يا باشمهندس .. أنت أدرى بما تفعله ..

تضايق عادل عندما أعاد درويش الكرة إليه فى الوقت الذى يحاول فيه تسجيل هدف بأسرع ما يمكن فقال دون مواربة :

– أرى أن يسافر رأفت معى وتباشر أنت المكتب فى غيابنا .

كان رد درويش مباشرا ودون تفكير :

– كما قلت لسيادتك .. الرأى رأيك .. أولا وأخيرا ..

أجاب عادل بسرعة :

– إذاً اتفقنا ..

أدرك رأفت أن عادلا يحاول تنفيذ ما عقد العزم عليه مقدما ولكن بموافقتها الشكلية . تساءل :

– وهل من الممكن أن نعرف أسماء بقية أعضاء الوفد ؟ !

أحس عادل أن رأفت قد فتح باب المواجهة سواء بقصد أو بدون قصد وهذه فرصة لحسم كل الأمور المعلقة في الجو والتي يشعر بها الثلاثة دون لمسها أو حتى الاقتراب منها . قال عادل :

– حاولت أن يكون الوفد صغيرا بقدر الإمكان حتى لا نكلف ميزانية الشركة أية مصاريف إضافية . سيرافقني عبدالمعطي وعبدالحق وفتنة .

وقعت الكلمة الأخيرة على رأفت ودرويش وقع الصاعقة برغم أن رأفت بالذات كان يتوقع شيئا من هذا القبيل ، لكنه لم يتوقع أن يأتي بهذه السرعة المذهلة . التزم درويش الصمت المطبق لكن رأفت تمالك نفسه وأجاب متظاهرا بالدبلوماسية :

– طبعا أنت حر تماما في قراراتك . لكن ماذا سيقول العمال عندما يجدون فتنة في الوفد ؟ ! وهو ما لم يفعله الدمنهوري من قبل ..

قال عادل وهو يكتم شيئا في صدره :

– لا يهمني القيل والقال . ثم إنني قررت أن أصطحب زوجتي معي . .

تدارك رأفت الموقف قائلا :

– لم أقصد هذا . . لكنني قصدت الفساد الذي أحدثته فتنة مع ساهر في الشركة أيام الدمنهوري وقبل الدمنهوري . .

قال عادل وكأنه ينهي الحديث :

ـ كل ما يهمنى هو مظهر الشركة فى الخارج . ولم أجد من يشرفها مثل فتنة .. والعبرة فى النهاية بالمصلحة العامة للعمل ..

لم يسكت رأفت :

ـ إنه اختيار سيجاب علينا المتاعب !

قال عادل وهو يقترب من قمة المواجهة :

ـ إذا حلت أية متاعب فستحل بى وحدى !

تأكد رأفت أن عادلا قد انفصل تماما عن خطهما فكرا وسلوكا .

تساءل فى يأس وضيق :

ـ كنت أظن أننا نشكل معا جبهة واحدة ؟ !

تقمص عادل شخصية رئيس مجلس الإدارة بكل هالتها وقال :

ـ لاتوجد عندى فى الشركة جبهات .. كلنا أبناء عائلة واحدة والعبرة بالعمل لصالح الشركة وليس بالانتماء الى جبهات . مهما كانت الشعارات الثورية التى تختفى وراءها هذه الجبهات .

شعر درويش بأن اللقاء تحول إلى صراع فتدخل أخيرا محاولا تهدئة الجو بطريقته الخاصة :

ـ إننا أسرة واحدة فعلا .لكن هذا لايمنع أن يكون فيها أبناء فاسدون.

فاجأه عادل بالسؤال :

ـ من تقصد ياعم درويش ؟ !

وجد درويش نفسه طرفا فى المواجهة دون أن يدرى ، فقرر أن يقول الحق وأجره على الله :

– أقصد فتنة وساهرا وعبدالحق وجعفر أيضا ..

سأله عادل :

– وكيف عرفت أنهم فاسدون ؟ !

أجاب درويش :

– كل الشركة تعرف هذا جيدا .. والأمر ليس فى حاجة إلى تدليل !

استمر عادل فى أسئلته التى تحولت إلى ما يشبه الاستجواب :

– هل ثبت ضدهم شىء غير قانونى؟ هل أحيلوا إلىالتحقيق أو المحاكمة؟!

تدخل رأفت فى الحوار عندما أحس بالضربات المنهالة على درويش :

– ليس كل ما هو غير قانونى يقع تحت طائلة القانون !

التفت إليه عادل فى عنف :

– تقصد : كم من جرائم ترتكب باسم القانون ؟ !

قال رأفت وقد أصبح العداء يطل برأسه بينهما :

– لم أقصد هذا . . ولا تحاول أن تنطق لسانى بأقوال لم أتفوه بها .

قال عادل والحنق يكاد يتفجر تحت كلماته :

– لاتنس يا أستاذ رأفت أنك تكلم رئيسك ؟ !

قال رأفت محاولا إخفاء السخرية التى تنضح مرارتها من كلماته :

– وأنا أدافع عن نفسى أو على الأقل أوضح ما أقصده !

حاول درويش إيقاف التدهور بقدر الإمكان :

– يبدو يا باشمهندس أننا لم نخلق للادارة ؟ !

سعد عادل بهذا الخيط الذى ألقاه درويش فأمسك به من بدايته للوصول إلى نهايته ونهاية اللقاء فى الوقت نفسه :

– تقصد ياعم درويش أنكما تورطتما فى العمل معى فى المكتب ؟ !

فهم رأفت فى الحال كل ما يرمى إليه عادل فقال :

– اننا لانستطيع أن نفرض عليك وجودنا ياعادل بك !

لأول مرة يسمع عادل رأفت يناديه بلقب البكوية كحاجز نهائى بينهما .

– وأنا بدورى لا أستطيع أن أفرض عليكما عملا لاتحبان القيام به .. لكننا مع ذلك سنظل عائلة واحدة بلا أحقاد ولا ضغائن ..

– طبعا . لن يعرف الحقد طريقه إلينا طالما أننا نعمل من أجل الصالح العام .

حسم عادل المقابلة كلها بقوله :

– إذاً فلنتكلم بصراحة ..

علق رأفت :

– لم يكن بيننا سوى الصراحة !

قال عادل متسائلا فى بعض من الحرج .:

– هل تحبان أن تعودا إلى العمل الفنى مرة أخرى ؟ ! إن الذين تعودوا على الأعمال الفنية والإبداع الفكرى والعلمى لايتحملون العمل الإدارى والإجراءات الروتينية ؟ !

لم يحتمل رأفت كل هذا اللف والدوران الذى لم يعرفه عن عادل من قبل فحسم موقفه فى كلمات حادة قليلة :

— لم يعد هناك متسع لمزيد من الجدل .. أرجو أن أعود إلى عملي السابق كخبير تحاليل كيمائية ومدير لمعمل الشركة ! !

رقصت السعادة داخل قلب عادل لكنه كتمها لئلا تطل من عينيه وهو يسأل عم درويش :

— وأنت ياعم درويش ؟ !

أجاب درويش بلا تفكير :

— مادام الأمر هكذا فانني أرغب في عودتي إلى ورش الصيانة واللجنة النقابية حيث عملي الحقيقي وحب الإخوة والأبناء ..

قال عادل مدعيا التواضع والتفاني في خدمتهما وتلبية رغباتهما :

— وأنا تحت أمركما . لكما ما تريدان والآن ..

ذهل رأفت للسرعة التي يريد بها عادل التخلص منهما . فقام ناهضا :

— هل هناك شيء آخر ؟ !

نهض عادل بدوره وفي أعقابه درويش :

— شكراً .. وإذا احتجت إليكما فلن أتردد في استدعائكما .

قال عادل هذا وهو يمد يده لرأفت ثم درويش . خرجا كل إلى مكتبه لجمع أوراقه والعودة إلى الموقع القديم ، في حين تم إطفاء المصباح الأحمر وسمع جرس يدق خارج مكتب درويش وسرعان ما دخل جعفر مسرعاً في اتجاه باب عادل دون حتى أن يلتفت إلى درويش أو يحييه .

(١٨)

استيقظ عادل من إغفاءة ما بعد الظهيرة . لم يجد أشجان نائمة بجواره وعندما استدار للبحث عنها وجدها وقد ارتدت ملابسها وهى تقف أمام المرآة تضع اللمسات النهائية على وجهها استعداداً للخروج . جلس على السرير ولاتزال سعادة التخلص من رأفت ودرويش كامنة داخله دون أن يحكى شيئاً لأشجان. فهو لم يتعود أن يقص عليها ما يدور فى عمله منذ أن أصبح رئيس مجلس إدارة . سألها محاولا تصنع الرقة والابتسام :

– إلى أين ؟ ! إن شاء الله ..

أجابته دون أن تلتفت إليه :

– سأذهب كالعادة لزيارة أبى وأمى . . لقد تعودا على وجودى فى الشهور الأخيرة ..

تمطى فى مكانه وتساءل :

– بالمناسبة . كيف حالها ؟ ! لقد شغلتنى أعباء المنصب عن السؤال عنها وزيارتها ؟ !

أجابت أشجان فى اقتضاب وهى تضع الروج على شفتيها :

– الحمد لله . . إنهما يسلمان عليك . .

– الله يسلمك ويسلمها . . لكننى أريد منك أن تؤجلى زيارة اليوم !

التفتت إليه أشجان فى مزيج من التحفز والتحدى :

– لماذا ؟ !

ابتسم عادل وقال وهو يترك الفراش :

– لأننى أريد أن أقضى اليوم معك . .

قالت أشجان فى شبه سخرية :

– ولماذا اليوم بالذات ؟ ! هل خفت أعباء منصبك ؟ !

– لم تخف . . بل تزيد بمرور الأيام . . ومع ذلك وجدت من حقك على أن أقتطع وقتاً أقضيه معك مثل الأيام الخوالى .

– لا أريد أن أكون عبئاً عليك . . ولا أن أسطو على وقتك الثمين . . فأنا كفيلة بنفسى ولم أشك وضعى لأى إنسان . .

– لم أقل أبداً أنك عبء . بل كنت لى دائماً نعم السند !

– كنت ! !

– ماذا تقصدين « بكنت » هذه ؟ !

– أقصد أننى لم أعد نعم السند لأن هناك كثيرين على استعداد للقيام بهذه المهمة خير قيام ! !

ذهب إليها واحتضنها وقبلها فى رأسها وجبهتها فى حنان قائلا :

– كيف تقولين هذا وكل الخير الذى جاءنى جاء على يديك ؟ !

لم ترد عليه بل اتجهت إلى الدولاب وفتحته وأخرجت منه حقيبة يدها. سألها وقد بدأ الضيق يمسك بخناقه :

– متى سيأتى الأسطى ربيع ؟ !

– اتفقت معه أن يأتى فى السادسة كالعادة .

نظر عادل إلى المنبه فوق الكومودينو وكان يشير إلى السادسة إلا ربعا . قال عادل :

– سأرتدى ملابسى فى أقل من ربع ساعة وسأصحبك إلى مكان هادئ خارج القاهرة وبعيداً عن زحامها وضجيجها ... وليكن بالقرب من الأهرامات .

نظرت إليه أشجان مندهشة متعجبة ثم جلست مستسلمة فى حين ارتدى ملابسه على عجل . ولاتعرف لماذا – فى هذه اللحظات العابرة – تذكرت يوم ذهبت معه إلى القناطر الخيرية فى يوم الجمعة السابق ليوم الانتخابات التى نجح فيها ودخل بعدها مجلس الإدارة . خرجت لتطل من الشرفة فوجدت المرسيدس السوداء وقد أطلت على ناصية الشارع فى طريقها إليها . دخلت وأغلقت باب الشرفة وهى تقول لعادل الذى كان قد انتهى من ارتداء ملابسه :

– وصل الأسطى ربيع .

– هيا بنا .

طلب عادل من الأسطى ربيع الانطلاق إلى منطقة الأهرامات واختيار أكثر الكازينوهات بعداً عن القاهرة . كانت نسمات الخريف الرقيقة تداعب الوجوه فطلبت أشجان من الأسطى ربيع إيقاف جهاز التكييف داخل

السيارة وقامت بفتح زجاج النافذة بجوارها ، شاعرة بالألفة بل وبالأنس بضجيج المارة فوق الأرصفة ، ومحركات السيارات وأبواقها بمحاذاة عربتها . تعجب عادل لتصرف أشجان التى ترفض الهواء المكيف والهدوء المريح الممزوج بموسيقى مذياع السيارة ، وتفضل عليه الضجيج والتراب ونسمات الخريف ، كانت تخاف هدوء العربة وبرودة التكييف لأنهما يثيران فى نفسها إحساسا مخيفاً بالعزلة والوحشة . لم تتبادل كلمة واحدة مع عادل بل شغلت نفسها بمشاهدة المرئيات المتحركة عبر النافذة المفتوحة وتذكرت يوم كانت تجلس فى الأتوبيس النهرى بجوار النافذة القريبة من الموج الذى يكاد يحاصرها وعادل بجوارها يفكر فيما يحمله الغد من نتائج الانتخابات . لم يمر على ذلك اليوم أكثر من ثلاثة شهور حدث فيها ما لايحدث فى ثلاث سنوات . دخول عادل مجلس الإدارة . زواجها ، وفاة عبدالعظيم الدمنهورى . صعود عادل الفجانى إلى منصب رئيس مجلس الإدارة . أى أنه تحول من مجرد مهندس زراعى بسيط يحبه العمال إلى رئيس مجلس إدارة فيما لايزيد على تسعين يوماً . والله أعلم بما سوف تحمله الأيام المقبلة .

ظلت أشجان شاردة فى خواطرها وذكرياتها إلى أن وصلت السيارة إلى مشارف هضبة الأهرامات ثم انحرفت يميناً إلى الطريق الصحراوى المؤدى إلى الإسكندرية وهناك توقفت عند فندق به كازينو يطل على حمام سباحة رائق شفاف . طلبت أشجان من عادل أن يحدد موعداً يأتى فيه الأسطى ربيع ليعود بها إلى المنزل لكنه قال لها فى حسم « فلينتظر . . كل رؤساء مجالس الإدارة يفعلون ذلك . . إنها مهنته » .

التزمت أشجان الصمت حتى جلسا إلى إحدى الموائد المطلة على حمام السباحة . على البعد ظهرت الأهرامات شامخة فى كبد السماء ، محاطة بصفاء

يقطر سمرة تثير النشوة . جاء النادل منحنياً فى أدب فطلبت أشجان مياها غازية فى حين طلب عادل زجاجة من البيرة مما أثار دهشتها لأنه لم يكن معتاداً مثل هذه المشروبات . فجأة قطع عادل الصمت :

— فيم كنت شاردة ؟ !

ظهر شبح ابتسامة على شفتيها وهى تقول :

— تصور ياعادل أن هذه أول مرة نخرج فيها سوياً منذ ذهابنا إلى القناطر قبل انتخابات مجلس الإدارة بيوم واحد ..

لم يسعد عادل بالملاحظة ونظر بعيداً إلى الأهرامات وهو يقول :

— أريد أن أجعل من شركتنا هرماً رابعاً ..

فى تلك اللحظة أدركت أشجان أنه يغنى على ليلاه ، ولم تعد هى ليلاه . ساد الصمت مرة أخرى . سعدت أشجان بالضجة التى يحدثها بعض الأطفال مع أبويهم الجالسين إلى مائدة قريبة . رنت فى أذنها كلمة أمها : « فلتشدى حيلك فقد آن أوان الإنجاب » . لكنها آمنت بأن الإنجاب فى ظل هذه الظروف جريمة فى حق الأبرياء القادمين فلتستقر الأوضاع أولا وليقتنع عادل ثانياً بأن حياته الزوجية لابد أن تأتى فى المقدمة قبل أى اعتبار آخر .

جاء النادل وقام بصب المياه الغازية والبيرة فى كوبين . ارتشف جرعة مستمتعاً بملمس الكوب المثلج وبعد جرعة تالية قال :

— أشجان .. سأعوضك عن شهر العسل بقضاء أسبوع عسل يكون بمثابة سنة عسل وليس مجرد شهر .

اندهشت أشجان للملاحظة المفاجئة . إنه يتكلم عن شهر عسل وهو الذى

تجاهل منذ لحظات تعليقها على عدم خروجها سوياً منذ يوم القناطر الذى يبدو الآن بعيداً جداً . قالت فى اقتضاب ودهشة :

— لا أفهم ..

تناول جرعة كبيرة طويلة من البيرة المثلجة وقال :

— سنذهب معاً إلى هولندا لقضاء أسبوع من العمر . لقد آن الأوان لترى الدنيا خارج حدود مصر ..

آه .. تذكرت أشجان ليلة الوفد الهولندى . تلك الليلة التى شعرت فيها بفجوة حقيقية بينها وبين عادل . وهى الفجوة التى أخذت فى الاتساع منذ تلك الليلة . هل سيكون أسبوع العمر حقاً أم كابوساً متصلا مثل تلك الليلة ؟! كانت الليلة مجرد ساعات أما الأسبوع فسيكون أياما متصلة . وقد سئمت القيام بدور الزخرف المكمل لشكليات الموقف . إنها تحب أن توجد حيث يحتاجها الناس وحيث تستطيع خدمتهم . كانت مرتبطة أشد الارتباط بعادل عندما كان محتاجاً لمساندتها ، وتغيرت الأمور بوصوله إلى مقعد رئيس مجلس الإدارة حيث الكل فى خدمته ورهن إشارته : إنها تود فعلا مشاهدة العالم الخارجى لتجدد ثقافتها التى اقتصرت على الكتب وافتقرت إلى المشاهدة الحية . لكن أن تشاهد هذا العالم البعيد لمجرد أنها زوجة عادل فهذا مالا تميل إليه وخاصة بعد تجربة تلك الليلة . إنها لاتشعر بالغيرة من فتنة تلك الجميلة التافهة إذا ما قورنت بثقافتها الواسعة العميقة ، لكن ماذا سيكون الوضع إذا كانت فتنة ضمن أعضاء الوفد ؟ !

تعجب عادل لصمت أشجان وشرودها وهو الذى ظن أنها ستسعد بهذه الرحلة . قطع الصمت فى حسم :

— هيه .. ماذا قلت ؟ !

تساءلت أشجان فى عفوية غريبة :

— وهل ستكون فتنة ضمن المسافرين ؟! !

آه .. لماذا هذا السؤال الغريب ؟ ! هل عرفت شيئاً من رأفت أو درويش ؟ ! لايعقل هذا وخاصة أنه عاد إلى المنزل فور الانتهاء من لقائهما فى المكتب . سألها محاولا كتمان دهشته :

— ولماذا هذا السؤال بالذات ؟ !

— إنه سؤال طبيعى بعدما حدث فى ليلة الوفد الهولندى ..

— وماذا حدث فى تلك الليلة ؟ !

— أنت تعرف جيداً ماذا حدث ! !

— لقد أنقذتنا فتنة من حرج بالغ .. وهى ليست سوى موظفة فى إدارتى وعلى أن أستغل إمكاناتها مقابل الأجر الذى تحصل عليه ..

— أفهم من هذا أنها ستسافر معك ؟ !

— وما الغريب فى هذا ؟ !

— إنها ليست قضيتى .. ولكن قضيتى تتمثل فى أننى لا أحب أن أوجد إلا فى مكان تكون لى فيه ضرورة محددة ..

— وهل تشعرين أنك لست ضرورية بالنسبة لى ؟ !

— إن وجودك فى هولندا لن يختلف عن وجودك فى مكتبك إلا فى المسافة ! والأمر كله لن يتعدى الأسبوع وتعود بالسلامة !

— كلامك غريب جداً هذه الليلة ؟ !

– لا أحتمل أن أكون كما مهملا أو سد خانة أو كمالة عدد ..

– لا أفهم ما تقصدين ؟ !

– إن لكل إنسان كيانه المستقل مهما كان يحب الآخرين ويتفانى فى خدمتهم . ولست على استعداد أن أتخلى عن هذا الكيان . صحيح أننى لا أجيد لغات أجنبية ولا أتقن مظاهر الطبقة الراقية البراقة ، لكننى أعتز بنفسى كما أنا ، ولا أحب أن يكون وجودى كعدمه كما حدث فى تلك الليلة التى لاتنسى .

– لم أكن أعرف أن تلك الليلة تركت فيك مثل هذه الآثار ؟ !

– لم تكن الليلة مهمة فى حد ذاتها لكن مؤشراتها كانت خطيرة بحيث أشعرتنى لأول مرة فى حياتى أنك فى غير حاجة إلى . بل إن وجودى أصبح عبئا عليك .

– كل هذه مجرد أوهام فى ذهنك !

– أرجو .

– أفهم من كلامك هذا أنك ترفضين الذهاب معى ؟ !

– إذا كانت لى وظيفة محددة فى الوفد فاننى أوافق ..

– سبق أن عرضت عليك الانتقال إلى شركتى ورفضت ؟ !

– وحتى لوكنت وافقت فان وظيفتى لاتؤهلنى للسفر مع وفد على هذا المستوى . .

– إنك أعلى من فتنة فى الدرجة والمؤهل . فأنت بكالوريوس زراعة مثلى تماما ..

– لكننى لا أجيد اللغات الأجنبية ولا مظاهر الإتيكيت ! !

-- إن ضميرى سيؤنبنى لو سافرت بدونك !

قالت أشجان فى حسم :

— تسافر مصحوبا بالسلامة .

لم يجد عادل ما يقوله فقام متجها مقلدا الأجانب فى تركهم لثمن المشروبات فوق المائدة دون أن يطلبوا النادل . نهضت أشجان فى أعقابه وسار الاثنان دون تبادل كلمة واحدة حتى العربة حيث نام الأسطى ربيع على مقعده . دق عادل بقبضة يده على الزجاج فهرع ربيع لفتح الأبواب لهما .

(١٩)

لم يكن لانتقال رأفت ودرويش من مكتب عادل دوى عال بين العمال لأن بعضهم كان يعرف النفور المتزايد بينهما وبينه . بل إن رأفت كان يحكى عن سأمه من عمله الجديد لبعض أصدقائه المقربين من العمال فى حين كان جعفر يقص كل التفاصيل على كل من عبدالحق وفتنة وساهر . لكن الدوى الهائل كان نتيجة لعودة فتنة إلى موقعها القديم محل درويش ، وعودة ساهر إلى مكتبة القديم . لم يكن أحد يتصور أن تتطور الأمور على هذا النحو وبهذه السرعة مما جعل شعبية عادل بين العمال تهبط إلى حد خطير . وعندما تأكد العمال من أن فتنة ستكون ضمن الوفد المسافر إلى هولندا فى حين ستتخلف أشجان عنه ، تحولت دهشة العمال إلى غضب على هذا الإنسان الذى ظنوا أنهم يعرفونه جيداً وأنه حامى حماهم .

تظاهرت فتنة ومعها ساهر بالتفانى الكامل فى خدمة عادل لدرجة أنه ندم على الأشهر القليلة التى أقصيا فيها عن مكتبه . كانت الاتصالات بمكتبه واللقاءات فيه تتم فى جو من الهدوء والسلاسة ، وإذا جاء أى ضيف أجنبى فان فتنة تقوم بالترجمة الفورية ومعها تعرف كل أسرار المكتب وخط سير

الصفقات والاتفاقات . وقد حرص كل من فتنة وساهر وعبدالحق وجعفر على إحاطة عادل بسور عال من العزلة عن حقيقة مايجرى فى الشركة حتى تأكد أخيراً أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، وأنه رئيس مجلس الإدارة الذى لم يأت الزمان بمثله . ساعدهم على ذلك ابتعاد رأفت ودرويش ومن ورائهم العمال عن مكتبه فيما يشبه المقاطعة غير المتفق عليها . وعندما ابتعدت مشاكل العمال وقضاياهم بعيداً عن عادل ظن أن كل شيء على مايرام وأنه يتمتع بشعبية لم تتح لأى رئيس مجلس إدارة قبله وأن فى إمكانه أن يأتى بما لم تأت به الأوائل .

كان عادل صادقا فى إيمانه العميق بتطوير الشركة وتحسين الانتاج كما وكيفا ورفع مستوى المعيشة لكل العاملين . وبالفعل بلغت المكافآت التشجيعية والحوافز حدا لم تبلغه من قبل فى تاريخ الشركة منذ إنشائها . وكانت سعادة عادل بهذه الطفرة لا توصف ولذلك قرر بينه وبين نفسه أن يتخذ أى قرار مهما بدا غريبا من شأنه الاستمرار فى الطفرة . من هنا قرر إعادة فتنة إلى منصب السكرتير وساهر إلى منصب مدير المكتب لأنه رأى باخلاص شديد ــ مصلحة العمل فى هذا القرار . كانت نواياه الطيبة التى يدخرها للشركة تحوط بكل القرارات التى يتخذها ، لكنه نسى مثله القديم المفضل الذى يقول إن الطريق إلى الجحيم ممهد بالنوايا الحسنة .

بهذه النوايا سافر إلى هولندا . كان ميعاد الطائرة الساعة السابعة صباحا . ارتدى ملابسه وانتهى من إعداد حقيبته قبل السادسة صباحا ، عاونته فيها أشجان التى ارتدت فستانا عاديا وفوقه جاكت خفيفه تناسب جو ذلك الصباح من شهر أكتوبر . صعد الأسطى ربيع وحمل الحقيبتين الكبرى والصغرى وهبط بهما إلى حيث المرسيدس . وخلفه عادل وأشجان اللذان لم يتبادلا كلمة واحدة .

انطلقت السيارة فى شوارع شبرا الهادئة . لم يكن معظم الناس قد استيقظ . تناثر باعة الفول المدمس والبليلة على النواصى ، فى حين فتحت محلات الفول والطعمية والكشرى والفطير أبوابها. كان الغيم يغلف الجو بلون رمادى أقرب إلى الفضى ، والسكون يحيط بالأشياء ، لايقطعه سوى ضجيج بعض عربات الترام المبكرة . كانت أشجان تتابع المرئيات من نافذتها وفعل عادل نفس الشىء لكن مع بعض التوتر والقلق . هل يصدق أحد أن رئيس مجلس إدارة متألق مثله يركب الطائرة لأول مرة فى حياته ؟ كيف سيستقبلونه فى مطار أمستردام ؟ كيف سيتعامل مع مندوب الشركة الذى فى انتظاره ؟ البركة فى فتنة فهى قادرة على التخلص من كل هذه العقبات فى طريقه ! لابد أن يكون الجو بارداً هناك كما قال له الجميع . تحسس عادل المعطف الصوفى الذى اشتراه خصيصاً من السوق الحرة .

قطعت السيارة شارع رمسيس ومن مدينة نصر انطلقت إلى شارع العروبة فى وقت قياسى ، إذ سرعان ما كانت فى طريق المطار حيث الرمال تمتد إلى مرمى البصر على اليمين والمبانى والمنشآت على اليسار . ثم لمع كشاف برج مراقبة المطار فى هذا الطقس الرمادى الرطب فأثار داخل عادل خوفاً خفياً لم يعرف مصدره ولا سببه .

توقفت العربة أمام باب الرحيل . نظر عادل إلى أشجان وود لو يفتح الله عليه بكلمة يقولها لها لكن الصمت أطبق عليه مرة أخرى وذاب وسط ضجيج المسافرين داخل صالة المطار . تلفت عادل حوله فى قلق زاد من حدته الزحام والضجيج وسرعان ما وجد فتنة قادمة مسرعة إليه . كانت ترتدى معطفاً من الفراء الرمادى وتحته بنطلون من الصوف الكحلى وحذاء من الشمواه الرصاصى . صافحته فى شوق بالغ ثم صافحت أشجان بتحفظ بارد سرى فى

ملمس يدها . وسرعان ما التف حولهم عبدالمعطى وعبدالحق وساهر يتحدثون عن جمال هولندا وروعة أمستردام . سأل عادل فتنة عما إذا كانت قد زارت أمستردام من قبل فاجابته بالإيجاب . لقد زارتها ضمن رحلة سياحية نظمتها إدارة النادى الذى تتمتع عائلتها بعضويته. زارت عدة عواصم أوروبية فى الصيف الماضى ولم تكن تعرف أو تظن أنها ستزور أمستردام مرة ثانية .

استراح عادل لهذه الملاحظة ، لكن أشجان أحست لأول مرة بلسعة غيرة جامحة . هل أخطأت فى رفضها مرافقةزوجها فى رحلته بحيث تركت الفرصة لهذه المرأة الثعبانية كى تعيث فساداً فى غيبتها ؟ ! لكنها كانت قد قررت من قبل أنها لن تعمل حارساً خاصاً لعادل . يجب أن تكون المناعة نابعة من داخله وإلا فان الأمر كله يصبح بلا جدوى . كانت تتمنى أن ترى الدنيا خارج مصر ، تراها رؤية العين وليس مجرد سماع . لكن كبرياءها كانت أقوى من أى اعتبار آخر .

خرجت أشجان من خواطرها على صوت ميكرفون المطار وهو يعلن عن قرب قيام الطائرة الهولندية إلى أمستردام . انشغل أعضاء الوفد فى توديع أقاربهم فى حين التفت عادل إلى أشجان فرأى الدموع تترقرق فى عينيها ، فانتقلت إليه العدوى فى سرعة البرق . قبل وجنتيها بشفتين أحست بارتعاشتها وهو يقول لها هامساً :

– حرام والله أن تحرمى نفسك من هذه الرحلة . سأفتقدك كثيراً حتى أعود .

قالت وهى تحاول ألا تجهش بالبكاء :

— صحبتك السلامة فى الذهاب والعودة .

دخل الوفد صالة الجمرك وعادل لايزال يلوح لأشجان حتى اختفى عن الأنظار فوجدت أشجان نفسها وحيدة . تقدم الأسطى ربيع منها فى أدب سائلا إياها إذا كانت تحب الصعود إلى الشرفة لتوديعه منها لكنها طلبت منه العودة بها إلى المنزل .

ركب الوفد الأتوبيس إلى الطائرة وعادل يحاول تبين أشجان فى الشرفة لكن عبثا . كرر المحاولة وهو يصعد سلم الطائرة لكن عبثا . جاءته مضيفة هولندية تشبه فتنة لكنها أشد بياضاً منها ، أجلسته فى ثانى مقعد وبجوار ه جلست فتنة وخلفه عبدالمعطى وعبدالحق . أثار جو الطائرة داخل عادل انتعاشاً غير من حالته النفسية التى تركتها أشجان بين ضلوعه . كانت المضيفات الجميلات يوزعن الابتسامات المشرقة على الركاب ومعهن أغلفة معدنية مغلقة بها مناديل معطرة لم يعرفها عادل إلا عندما فتحت فتنة أحدها ومسحت به وجهها ففاح العطر المثير للنشوة منه ، فقلدها عادل وكأنه خبير بمثل هذه الأشياء .

دارت محركات الطائرة وطلبت المضيفة ربط الأحزمة وإطفاء السجائر وعدم مغادرة المقاعد . وتحركت الطائرة فوق الممر ثم توقفت عند منحنى فيه وفى أقل من دقيقة كانت منطلقة فى الجو حتى بدت المنشآت والمبانى كلعب أطفال ، والصحراء كمنديل أصفر مفروش على الأرض والطرق كخيوط ملتوية يمنة ويسرة . وفى لحظات كانت الطائرة فوق السحاب السابح تحتها مثل قطع القطن المندوف ، فتذكر عادل كيف صعد فوق مقعد رئيس مجلس الإدارة فيما يقل عن ثلاثة أشهر بعد أن كان مجرد واحد من العاملين فى الشركة . لكنه أصيب بلحظة كآبة عابرة عندما تذكر أن الطائرة الصاعدة من مطار لابد أن تكون هابطة فى آخر .

نظرت إليه فتنة وعلى ثغرها ابتسامة ساحرة وفتحت حقيبتها الموضوعة فى حجرها وأخرجت بعض الأوراق وعرضتها على عادل على الرغم من أنها أوراق تم البت فيها من قبل . لكن عادلا قرأها بإمعان سعيداً بإحساسه البالغ بأهميته ومن حين لآخر كان يلقى ببصره عبر النافذة فيرى البحر الأزرق المتلاطم تحتها .

(٢٠)

– كانت غلطة عمرك يوم أخذتك العزة بالإثم ورفضت الذهاب معه .

كانت هذه المرة الخامسة أو السادسة التى تسمع فيها أشجان أمها وهى تصب فى أذنها هذه الجملة منذ سفر زوجها إلى هولندا . فقد ذهبت منذ رحيله لتعيش مع أسرتها فى روض الفرج بعد أن أحست بالوحدة القاتلة وهى التى ظنت أنها لن تشعر بفارق بين وجود عادل فى مكتبه وبين وجوده فى هولندا لأنها لم تكن تراه فى اليوم إلا لدقائق معدودة ومع ذلك دهمتها الوحدة منذ لحظة اختفائه عنها فى مطار القاهرة فهربت إلى أسرتها . لكنها لم تسلم من التأنيب واللوم كلما جاءت سيرة عادل وكثيراً ما تجىء حتى سئمت أخيراً وانفجرت فى أمها :

– إذا سمعت هذا الكلام مرة أخرى فسأذهب إلى شقتى ولن ترين وجهى مرة أخرى .

لم ترضخ أمها للتهديد :

– أنت دائماً هكذا تثورين فى وجه النصيحة المخلصة لوجه الله وتظنين

أنك الوحيدة فى هذه الدنيا القادرة على التفكير الصحيح والقرار الصحيح.. فأنا أعرفك جيداً منذ طفولتك . كان رأسك مثل حجر الصوان لايلين ولايعرف طريقاً غير طريق العند والمكابرة .

ظلت أشجان صابرة ثم قالت فى سخرية مريرة :

ــ هل انتهيت من الخطبة أم ليس بعد ؟ !

ــ أنت لم تتعودى على الخير .. تعشقين الفقر لدرجة التمرغ فيه ! لا أعلم من الذى وضع فى مخك مثل هذه الأفكار ! !

ــ كل شىء قسمة ونصيب ! !

ــ ما العيب فى قسمتك ؟ ! فتح الله على زوجك وطلب منك مشاهدة بلاد الله . كان ردك الرفض وتركت المجال لفتنة ! ! يكفى أن ساهراً يتصل بك يومياً لتلقى أوامرك وتعليماتك كى يحملك جائل وهمية ! فالأسطى ربيع يقوم بكل الخدمات ..

ــ ليست وظيفتى فى الحياة أن أكون مجرد زوجة لعادل . فأنا لى كيانى المستقل أيضاً .. وإذا أردت أن أرى هذه البلاد معه فسندخر لنراها سويا من عرق جبيننا .

ــ ألم أقل لك أنك تعشقين الفقر لدرجة التمرغ فيه؟! إن الزوجة لزوجها وغير ذلك فكلام فارغ ..

ــ فليهدأ بالك .. سيعود الليلة بالسلامة .. ويادار ما دخلك شر ..

ــ أريد أولا وعدك بأن ما حدث لن يتكرر ..

ــ إذا كان هذا سيريحك .. فانى أعدك ! !

ــ أراح الله قلبك . فأنا كل همى سعادتك وراحة بالك ..

إبتسمت أشجان أخيراً وقامت لتجلس بجوار أمها وتقبلها فى حنان :

— حفظك الله لنا .. فأنت الخير والبركة .

كانت ساعة الحائط تشير إلى الخامسة والنصف . نهضت أشجان وهى تقول لأمها :

— سآخذ حماما سريعاً وأرتدى ملابسى لأن الأسطى ربيع سيكون هنا فى السادسة والنصف لنكون فى المطار قبل الثامنة ميعاد وصول الطائرة .

كان الحنين يكاد يقتلها لعادل. نسيت فتنة وساهراً وكل من له علاقة به. لم تتذكر سوى ابتسامته الزاخرة بالحنان ولمسته الموحية بالرغبة وأحضانه المشعة بالدفء . صحيح أن الفترة الأخيرة كانت فترة جفاف عاطفى . لكن هكذا دورة الحياة : جفاف وارتواء ، جوع وشبع ، هدم وبناء ، ليل ونهار ، ألم ولذة ، برودة ودفء . إنها تشعر الآن أنها أرض تشققت عندما بلغ الجفاف قمته فى الأسبوع الذى قضاه عادل فى أرض الغربة . قد تهطل الأمطار فى تلك البلاد النائية كثيراً لكنها لن تروى ظمأ القلب . إن أمطار العالم كلها فوق الصحارى والغابات والتلال والجبال لاتعادل لحظة فيضان القلوب ساعة اللقاء بعد غيبة ووحشة .

إستسلمت أشجان لأفكارها المنسابة مع مياه الحمام الساخن الجارية على جسدها العارى . إستخدمت الصابون الذى يحب عادل رائحته . ولاتعرف لماذا فى تلك اللحظة بالذات ألحت عليها فكرة الإنجاب ؟ ! إستكانت للفكرة التى دغدغت حواسها وسمعت صراخ الطفل يناديها من أعماقها . إن الطفل سيجعل عادل أباً ، والأبوة احساس لاتستطيع كل اغراءات الدنيا أن تقف فى سبيله ، حتى لو كانت اغراءات منصب رئيس مجلس الإدارة .

زاد إشتعال الجذوة داخلها برغم احساس الإسترخاء الذىإحتواها مع المياه الساخنة. تذكرت ميعاد الطائرة فأسرعت بتجفيف جسدها وشعرها ، وخرجت إلى غرفة النوم لترتدى ملابسها . الليلة لن تبيت هنا بل ستبيت هناك فى شقتها وبين أحضان زوجها .

.. إستخدمت العطر الذى يعشقه زوجها ، وأكثرت من وضع البودرة على وجهها . كان الجو ساخنا برغم إنتصاف أكتوبر . ارتدت فستانا وردياً خفيفاً هربا من السخونة الداخلية والخارجية .

عندما أشارت ساعة الحائط إلى السادسة والنصف كانت أشجان قد انتهت من ارتداء ملابسها وسرعان ما سمعت رنين جرس الباب. فتحته فكان الأسطى ربيع منتظراً . ألقت عليه تحية المساء وهبطت السلم مسرعة بعد أن سبقها وفتح لها باب السيارة . طلبت منه السير عن طريق شارع النيل حتى مصر الجديدة ومنها إلى المطار .

كانت بقايا الغروب تصبغ صفحة النيل بلون فضى بعد أن غابت الشمس تماما . اعتادت أشجان أن تستمتع بفتح زجاج النافذة ومشاهدة الناس والعربات . لكنها هذه المرة تركت النافذة مغلقة مستمتعة بالهواء المكيف الذى تسلل عبر ملابسها . ويبدو أن احساسها قد انتقل إلى الأسطى ربيع فأدار من تلقاء نفسه مفتاح الراديو فاذ بأم كلثوم تصدح «هلت ليالى القمر » . زاد إنشراح أشجان وتفاؤلها ، وعندما غمرها فيضان النشوة السعيدة قالت فى نفسها : « اللهم اجعله خيراً » .

إخترقت العربة مصر الجديدة وكانت مصابيح الشوارع وأضواء المحال قد سطعت فى الظلام الذى أطبق على المدينة . لكن أشجان انشغلت بخواطرها أكثر من متابعتها المرئيات . كيف ستقابل عادلا ؟ ! هل ستأخذه بين

أحضانها ؟ ! لايعقل فهنا كانت المشاعر فان المطار مكان عام . ماذا ستقول له ؟ ! إن كل كلمات الشوق والوحشة لن تعبر عما يجيش بداخلها . أين كانت هذه الإنفعالات الجياشة والعواطف المتدفقة كامنة ؟ ! كيف تفجرت مرة واحدة هكذا ؟ ! كيف سمحت لنفسها أن تلتزم الصمت المطبق يوم ذهبت لتوديعه ؟ ! لكنه كان صامتا بدوره . لماذا ؟ ! ثم فى النهاية كيف سمحت لنفسها أن ترفض مرافقته فى الرحلة ؟ ! إن القضية ليست مشاهدة هولندا أو غيرها ، وإنما القضية أن ترافق الزوجة رجلها طالما أن الظروف متاحة . هكذا يفعل أبناء البلاد المتحضرة . لكن هذا كلام فات أوانه وها هو عادل عائد بسلامة الله وسيصبح كل شىء على ما يرام .

توقفت خواطرها مع توقف السيارة أمام باب الوصول فى المطار . هرع الأسطى ربيع وفتح لها الباب . هبطت وسارت فى اتجاه صالة الوصول حيث رأت ساهراً مع نفس وجوه الأقارب الذين جاءوا من قبل لتوديع عبدالمعطى وعبدالحق وفتنة . بادلتهم التحية والإبتسام على بعد لأنها آثرت أن تستقل بخواطرها .تقدم ساهر منها وسألها عن تعليماتها بأدب لكنها شكرته فى إقتضاب مما جعله يتراجع لأنه شعر بفقدانها لأية شهية مفتوحة لحوار لا لزوم له . كان العائدون على طائرات أخرى يهرعون إلى أقاربهم بأحضان مفتوحة وعيون ملهوفة ثم سرعان ما يختفون خارج المبنى . كانت ترى فى كل واحد منهم عادلا . ظلت على هذه الحال التى أحالت نشوتها إلى قلق . سألت أحد موظفى المطار المارين بجوارها عن الطائرة الهولندية فقال لها إنها وصلت منذ عشر دقائق . بمجرد أن أنهى الموظف جملته رأت على البعد وجه عادل الذى تلاشت حوله المرئيات فى نظرها . فقدت كل وقار وإتزان

وجرت محدثة صوتاً إيقاعياً بحذائها ذى الكعب العالى ووجدت نفسها وهى تحتضنه وكأن الدنيا قد خلت من كل الناس ولم يتبق سواهما .

هنا إنحسر فيضان العاطفة ، تحولت السخونة إلى برودة مبتلة ، وهبط القلب إلى قاع اليأس ، وتناثرت الأحاسيس تحت الأقدام . . إستقبل عادل أحضانها بتحفظ وتخلص منها بسرعة ، فى حين سلطت عليها فتنة نظراتها فأحست بغربتها مع زوجها الذى قال لها :

— كيف حالك يا أشجان ؟ ! لك وحشة كبيرة .

أمسك بيدها عندما لم ينبس ببنت شفة . سارت على يمينه وفتنة على يساره . قال لها ضاحكا نتيجة لسعادة قادمة معه وليس لسعادة كانت فى انتظاره :

— كانت رحلة رائعة مرت كالحلم . لم يكن ينقصنى سوى وجودك ! !

قالت فى اقتضاب وصوت خافت :

— شكرا .

لكنه لم يسمع الكلمة على الرغم من أنه رأى شفتيها تتحركان . كانت سعادة عادل غامرة بنفس القدر الذى كانت فيه تعاستها غامرة . سار الاثنان صوب باب الخروج وكان ربيع قد سبقهما بالحقائب التى دفعها فوق عربة اليد حتى الحقيبة الخلفية للمرسيدس التى استوعبت الحقائب . وقف عادل أمام السيارة يودع فتنة واليد ممسكة باليد والكلمات مشعة بالحرارة وساهر يتراقص حولهما :

— شكراً ، على كل ما قمت به خدمات . كان وجودك من أهم أسباب نجاح الرحلة

إبتسمت فتنة وهى تنظر إلى أشجان ثم قالت لعادل :

— إن شركتنا تعيش أسعد أيامها فى ظل رئاستك ..

حياها عادل مرة ثانية ثم حيا بقية أعضاء الوفد وطلب من أشجان أن تدخل العربة ثم دخل إلى جوارها وهو يلوح خلف نافذة العربة التى إنطلقت إلى البيت فى حين ظل ساهر يلوح بيده حتى بعد إختفاء العربة .

لم يسأل عادل أشجان عن أحوالها ، عن أحاسيسها ، عن قلبها الذى ألقى به بين الأقدام . بل ظل يتكلم عن تفاصيل الرحلة وكيف قابله الجميع بالتقدير والإحترام ، وكيف كان النجم اللامع فى كل إجتماع . حتى عقدة لسانه إنفكت وجرى لسانه بالإنجليزية فى الأيام الأخيرة من الرحلة. وكان يذكر فتنة ومافعلته من حين لآخر ، وكأن الرحلة قد خلت تماماً من عبدالحق وعبدالمعطى ، قال أيضاً إنه حصل على أحدث أجهزة لبسترة الألبان بالنظائر المشعة . وأنه سيطرح نتائج رحلته أمام مجلس الإدارة بعد أن يكمل تشكيله فى الإنتخابات التى ستجرى بعد أسبوع لشغل الأماكن الشاغرة فى المجلس .

لم تكن أشجان تعى شيئاً مما قاله عادل فى العربة ثم فى المنزل بعد وصولها . أحست أنها ضائعة لدرجة أنها قالت له فى مرارة بالغة وهو يدس نفسه تحت الغطاء :

— لم تسلنى حتى الآن عن أحوالى فى غيبتك ؟!

أجاب وهو يتثاءب فى سعادة :

– الحمد لله .. يبدو أن كل شيء على مايرام ..

– الحمد لله ..

– هل قام ساهر بتلبية كل طلباتك ؟ !

– كان يسأل يوميا بالتليفون لكن الأسطى ربيع لم يجعلني أحتاج إلى أي إنسان آخر ..

علق عادل وهو يغالب النعاس :

– إن ساهراً شاب ابن حلال وعلى إستعداد أن يخدمنا بعينيه ..

– كنت أتكلم عن الأسطى ربيع ؟ !

لكن أشجان لم تسمع أي رد سوى شخير عادل الذى إستغرق فى النوم وعلى وجهه بقايا ابتسامة تشع سعادة . أطفأت أشجان الأباجورة المجاورة لكن ظلام الغرفة لم يرسل النوم إلى عينيها الدامعتين ؛

(٢١)

كانت هناك مفاجأة فى إنتظار عادل بعد عودته من الخارج . لقد رشح رأفت نفسه لإنتخابات مجلس الإدارة ، وتوجس عادل شراً من هذه الخطوة وخاصة أنه لم يخبره عن عزمه ، ولم يذهب لتوديعه أو إستقباله أو حتى تهنئته فى مكتبه بسلامة الوصول . وسار درويش على النهج نفسه . وكلها أعراض لاتبشر بالخير . لكن لماذا يفترض العداء أو المواجهة وكل ما حدث أن الإثنين طلبا العودة إلى وظيفتيهما القديمتين ؟ ! يجب ألا يحمل الأمور أكثر مما تحتمل . ومع ذلك يبدو أن عودة رأفت ودرويش إلى العمل وسط العمال من الخطورة بحيث يستطيعان عزله فى مكتبه وتكتيلهم ضده فى الوقت المناسب . وربما كان ترشيح رأفت لنفسه فى الإنتخابات نتيجة لهذا التكتيل أو سببا له . لكن بدلا من التخمينات عليه أن يربطهما مرة أخرى بعجلته ، أى بعجلة الصداقة والزمالة القديمة .

وكان عادل على حق . فمنذ اليوم الأول الذى عاد فيه رأفت الى معمل التحاليل وهو يبشر العمال بأن عادلا فى طريقه الى أن يكون أسوأ من عبدالعظيم الدمنهورى الذى كان يعرك جيدا كراهية العمال له ، وهى

الكراهية التى كانت بمثابة صمام الأمن فى أحيان غير قليلة بالنسبة لمصالح العمال . أما عادل فقد قفز الى عضوية مجلس الادارة لانه « حبيب العمال والعاملين » ثم قفز الى رئاسة المجلس لثقة المسئولين فيه . وهو يظن أن الشركة لم ولن تشهد عهدا أروع من عهده . فهو يجمع بين حب العمال وثقة المسئولين وحيوية الشباب . وهذه العوامل التى يمكن أن تصبح طاقة ايجابية خلاقة متجددة ، يمكن بالقدر نفسه أن تتحول الى طاقة سلبية بل ومخربة اذا استطاعت بطانة عبدالحق وفتنة وساهر وجعفر أن تحركه لتحقيق أطماعها الخبيثة الملتوية . وقد ظهرت بوادر هذا التحريك فى رحلة هولندا .

كان رأفت فى معمله يتناول وجبة الغداء الخفيفة التى تقدمها الشركة للعاملين فى الفترة ما بين الواحدة والواحدة والنصف ظهرا ، وقد جلس معه عم درويش وبعض الأصدقاء من العمال الذين يحبون قضاء فترة الغداء معه ، أو على حد قول أحدهم أن يكون بينهم عيش وملح . كان رأفت يفسر لهم عدم ذهاب أشجان مع عادل بأن عادلا أجبرها على ذلك بحجة اختصار تكاليف السفر حتى يخلو له الجو مع فتنة التى فتنته ولم يعد يرى غيرها . وهكذا سافرت فتنة كعضو فى الوفد وهو ما لم تستطع تحقيقه من قبل مع عبد العظيم الدمنهورى . وهذا يؤكد أنه لو سارت الأمور على ما هى عليه ، فان الشركة كلها ستصبح تحت رحمة البطانة فى أقل من شهر لأن تطورات الأحداث تسير بسرعة لم يكن أحد يتوقعها ولا فى الكوابيس . ومن الواضح أن عادلا لم يكن يتوقع أبدا مثل هذا المنصب ، وعندما حصل عليه فى غفلة من الزمن أعمى بريقه عينيه وطاش صوابه وما خفى كان أعظم .

كان رأفت مسترسلا فى شرح وجهة نظره لأصدقائه عندما وجد عم درويش يغمز له بعينه اليمنى كى ينظر خلفه وعندما نظر وجد جعفراً واقفا

بالباب مبتسما ابتسامة لزجة دون أن يفتح فه بكلمة أو يحدث صوتا . سأله رأفت فى حسم :

– أى خدمة يا عم جعفر ؟ !

أجاب جعفر والابتسامة نفسها تطبع وجهه بطابع غير مريح :

– عادل بك يريد حضرتك الآن فى مكتبه . .

– خيراً ؟

– لا أعرف مثل هذه الأمور !

– أنت تعرف ما لا يعرفه أحد .. نهايته .. عن إذنكم !

قالها رأفت وهو يضع باقى الساندويتش على المائدة . خرج وخلفه جعفر وعندما بلغ مكتب فتنة وقفت له محيية مبتسمة لكنه رد التحية دون ابتسام فى حين سبقه جعفر وفتح له الباب. وقف عادل خلف مكتبه مادا يده لرأفت الذى سلم عليه وجلس الاثنان فى صمت قطعه عادل :

– فى الواقع أردت أن أعاتبك لأننى لم أرك منذ عودتك الى المعمل ! !

– مسئولياتك الجسيمة لاتسمح لأمثالى أن يضيعوا وقت سيادتك ؟

تأكد عادل أن رأفت يصر على وضع جدار ضخم من الرسميات بينهما ، لكنه استأنف أسلوب التودد ؛ :

– سافرت فلم تودعنى . رجعت فلم تستقبلنى أو تهنئنى بسلامة الوصول . .

– سيادتك تعلم جيدا شعورى تجاهك ؛ فأنا أتمنى لسيادتك النجاح فى كل ما تقوم بـه .

ـ ما حكاية « سيادتك » هذه ؟ ! لم يكن للألقاب والرسميات مكان بيننا ؟ !

ـ لكننى الآن مجرد موظف يكلم رئيس مجلس الادارة !

ـ ومع ذلك فأنت تسعى لعضوية مجلس الادارة ؟ !

عرف رأفت السبب المحدد للمقابلة وذهل للطريقة التى يكرر بها التاريخ نفسه . تساءل :

ـ هل أخطأت عندما رشحت نفسى ؟ !

ـ لم أقل أنك أخطأت ولكننى أتساءل عن السبب ؟ !

قال رأفت بمنتهى الحسم والوضوح :

ـ لنفس السبب الذى رشحت سيادتك نفسك له فى يوليو الماضى ..

ـ أتقارننى بعبدالعزيز الدمنهورى ؟ ! !

ـ لم أعقد هذه المقارنة .. لكننى أقارن نفسى بسيادتك لأننى على ما أعتقد أنتمى الى نفس خطك الفكرى .

ـ ومادمت تنتمى الى خطى الفكرى فما الداعى لترشيح نفسك ؟ !

ـ زيادة الخير خيران !

ـ لكن التاريخ لا يكرر نفسه بالطريقة التى تظنها !

ـ لا أفهم ..

ـ لم أعهد فيك سوى الذكاء ؟

ـ لم أتصور أن دخولى الانتخابات سيكون مثار جدل بينى وبين سيادتك ! كنت أظن أنك ستؤيدنى بكل قوتك ؟ !

– لم أقل إننى أعارض دخولك الانتخابات. لكننى أردت أن أتساءل فقط عن خططك وأفكارك التى تحب أن تنفذها فى حالة نجاحك ؟ !

– لا أستطيع أن أبنى خططى وأفكارى على مجرد افتراض !

– لكن لابد أن يكون فى ذهنك تفكير معين قائم على مفهو مك لسير العمل فى الشركة واحتمالات تطويره !

– اننا كلنا فى خدمة الصالح العام للعمل والعاملين !

تعجب عادل من خبث رأفت الذى رآه على حقيقته لأول مرة ولا يعرف لماذا تذكر يوم زفافه عندما استأذن ربع ساعة عاد بعدها والنشوة تشع من عينيه والتشفى يحيط وجهه باطار من الاشباع . وكان من قبل قد اكتشف سهرات عبدالعظيم الدمنهورى الخفية فى شقة ساهر بالمعادى . إنه شاب لابد أن يحسب له ألف حساب . فهو ليس بالبساطة التى يمكن أن يستقطبه بها .

وقف عادل وهو يقول مادايده لرأفت الذى وقف بدوره :

– أتمنى لك التوفيق والنجاح فى الانتخابات .

لكن عينيه قالتا شيئا آخر . وهو ما لاحظه رأفت الذى قال :

– شكرا يا فندم .

خرج رأفت بعد أن أصبح القلق ينهش عادلا ويفقده احساس النشوة الذى كان لايزال يرافقه منذ عودته من هولندا . وجد نفسه – دون أن يدرى – يضغط على الجرس مستدعيا فتنة التى كانت أمامه فى لمح البصر . قال لها :

– أتعرفين أن رأفت رشح نفسه لمجلس الادارة ؟ !

ابتسمت وهى تضم فتحة فستانها فى محاولة فاشلة لتغطية مفرق صدرها البض الأبيض :

ـ أعرف : ..

ـ احساسى يؤكد لى أنه لا ينوى خيرا .

ـ لكل داء دواء .

ـ هل تقصدين العمل على اسقاطه فى الانتخابات ؟ !

ـ لو عملنا بأسلوب مباشر فان صورتنا ستشوه فى نظر العمال !

ـ عندك حق .. هل فى ذهنك خطة أخرى ؟ !

ـ لاتحمل هماً يا عادل بك.. كل شئ سيكون على ما يرام المهم لاتعكر دمك . .

ـ سأترك لك هذا الموضوع .

ـ تحت أمرك .. وبالمناسبة اتصل منذ نصف ساعة رئيس مجلس ادارة النادى وقال إن النادى يرحب بعضوية سيادتك أنت والمدام..

ابتسم عادل وهو يقول :

ـ أفكارك رائعة يافتنة . . فعلا النادى سيكون مصدرا للترويح وفى الوقت نفسه تستطيع أشجان أن تقضى فيه أوقات فراغها دون سأم . انى لا أزال أشعر بالذنب تجاهها.

ـ لقد تحملت الكثير من أجل سيادتك .. وآن الأوان للترفيه عنها .

ـ جزاك الله كل خير يافتنة . لم أكن أعرف أنك بهذه الروح الطيبة ؟

ـ هذا من كرم أخلاق سيادتك فقط ؟

نظر اليها نظرة مشحونة بالعرفان بالجميل وقال :

— تفضلى أنت .. لن أعطلك أكثر من هذا ..

نظرت فتنة الى الأرض فى خجل وحياء كابنة العشرين ثم ركزت عينها على وجهه مبتسمة منسحبة الى خارج الغرفة التى أغلقت بابها خلفها حيث وجدت ساهرا جالسا الى مكتبها . بادرها بالسؤال :

— كيف الحال ؟ !

— على ما يرام ..

— لكننى لاحظت أنك لاتعاملينه بنفس القدر من الكرم الذى كنت تعاملين به عبد العظيم الدمنهورى على الرغم من أنه أظهر لنا كرما لم نعهده فى الدمنهورى ..

أجابت فتنة فى أستاذية خطيرة :

— إن قواعد اللعبة تختلف من رجل لآخر .

(٢٢)

كانت الشمس تميل الى الغروب حين جلس عادل مع أشجان فى النادى أمام حمام السباحة . كان عادل مستغرقا فى التفكير فى حين انشغلت أشجان بمتابعة الشمس الغاربة بين أشجار النخيل الطويلة . كانت مستريحة للمنظر الذى تراه للمرة الرابعة منذ بداية ترددها على النادى مع عادل . سألته :

ــ فيما تفكر ؟ !

ــ هل تعتقدين أن رأفت سيتخذ منى موقفا عدائيا فى مجلس الادارة بعد نجاحه فى الانتخابات ؟ !

ــ وما الذى جعلك تظن هذا ؟ !

ــ سلوكه الجاف المتباعد منذ تركه لمكتبى ..

ــ لا أعتقد أن رأفت يمكن أن يتغير بهذه البساطة . فهو شاب أصيل بمعنى الكلمة ويكفى وقفاته معك فى أحلك الأوقات العصيبة .

ــ تقولين هذا لأنك لم تعاصرى التطورات الأخيرة .. لقد قال لى إنه لا يحب الادارة ويفضل عليها عمله الفنى فى المعمل وبعد ذلك يرشح نفسه لمجلس الادارة نفسه !

– إنه شاب وله الحق فى تحقيق أحلامه وطموحه .

– وهل طموحه لايتحقق الا فى مجلس الادارة ؟ !

– أراك متحيزا ضده بشكل غريب . إن دخوله مجلس الادارة يدعم خطك الفكرى ويشكل سندا لك .

– تتكلمين عن الماضى أما الآن فقد تباعد تماما عنى هو ودرويش .

– ربما رأى فى احلال ساهر مكانه وفتنة مكان عم درويش جرحا لشعور العمال الذين تعشموا خيرا بعد تغير الادارة تماما لصالحهم .

نظر عادل الى أشجان فى دهشة وقال :

– تدافعين عنه كما لو كان أخوك ؟ !

– كان نعم الأخ لك ولى !

فجأة نهض عادل مبتسما سعيدا فنظرت أشجان فى اتجاه ابتسامته فوجدت فتنة ومعها صديقتها بيربهان قادمتين فى ملابس التنس وقد أمسكتا بمضربين. كان عادل قد رأى بيربهان فى النادى من قبل وهى مستلقية فى الشمس بالمايوه البكينى ، فسحره منظرها وود لو كلمها لكنه لم يفعل . صافحها شاعرا بقشعريرة غريبة عند ملامسة يدها . ولم تغب عن أشجان نظرات عادل الى بيربهان ذات العيون المسبلة التى مدت اليها يدها فى برود . وعندما جلس الأربعة قالت فتنة لعادل :

– متعة الدنيا فى التنس .

أجابها عادل وهو لم يرفع عينيه عن بيربهان :

– لم أعرف أنك لاعبة تنس . .

قالت بيربهان :

ـ وماهرة أيضا .. فهى تهزمنى دائما ..

علق عادل فى سعادة :

ـ كل يوم اكتشف شيئا جديدا فى فتنة ..

تساءلت بيرىهان فى خبث ضاحك :

ـ وماذا اكتشفت من قبل ؟ !

تدخلت فتنة مسرعة وهى تنظر الى أشجان :

ـ ماذا جرى لك يابيرىهان .. أنا معروفة مثل الشمس أمام الجميع ..

ثم غيرت فتنة مجرى الحديث سائلة عادل وناظرة الى أشجان :

ـ أخشى أن نكون قد قطعنا عليكم حبل الحديث ؟ !

أجاب عادل :

ـ لم نكن نتكلم فى موضوع خاص .. كنا نتكلم فى موضوع نجاح رأفت فى الانتخابات .

تساءلت فتنة وهى تركز عينيها على أشجان :

ـ وماذا كان رأى المدام ؟ !

قال عادل بتلقائية بالغة :

ـ وقفت فى صفه على طول الخط ..

علقت فتنة وهى تضع ساقا على ساق .. :

ـ نحن لا نستطيع أن نصادر طموح الشباب ..

لم تسترح أشجان لتعليقات فتنة لكنها آثرت الصمت كما فعلت دائما من قبل كلما وجدت مع فتنة .

انتهزت بيريهان فرصة الصمت فقالت لعادل :

— رأيت حضرتك فى التليفزيون فى افتتاح الفرع الجديد للشركة.. وعلقت صديقاتى بقولهن انك كنت مثل نجوم السينما .

ابتسم عادل فى خجل وتلعثم كطفل بحيث خرجت الكلمات متقطعة :

— إنهن يبالغن ! !

نظرت أشجان الى بيريهان نظرات كالسهام لكنها لم تعبأ واستمرت :

— ذهلت عندما قالت لى فتنة انك رئيس مجلس ادارة .. لقد عرفت رؤساء مجالس ادارة كثيرين من قبل .. ولم يكن أحدهم فى شبابك وحيويتك..

تدخلت فتنة فى الحوار :

— لقد ضرب عادل بك الرقم القياسى فى صغر السن ..

أضافت بيريهان بعيون مسبلة حالمة :

— كفى يا فتنة .. انى أخاف عليه من الحسد ..

ذهل عادل لبيريهان الفاتنة التى ود أن يكلمها من قبل فاذ بها تكلمه كما لو كانت صديقة قديمة تعرف عنه كل شىء وتخاف عليه من الحسد أيضا . أما أشجان فلم تعدقادرة على احتمال ما يدور فتململت فى مقعدها وودت لو يستأذن عادل ويذهب معها الى المنزل . لكنه استمر فى الحديث مستمتعا به الى أقصى حد ممكن . سأل بيريهان :

— والآنسة بيريهان ـ

قاطعته بيريهان :

— مدام من فضلك ..

شعر عادل بالأسف والخجل فى حين داخل أشجان بعض الارتياح :

— آسف .. ومن يكون زوج حضرتك ؟ ! أريد التشرف بمعرفته ..

أجابت بيرهان :

— ولست متزوجة أيضا ..

اجتاحت أشجان موجة من الكآبة والضيق فى حين عاد الارتياح الى عادل :

— آسف .. اذا كنت تدخلت فيما لايعنينى ..

تداركته بيرهان بقولها :

— ما تدخلت فيه يعرفه النادى كله ..

تململت أشجان فى مقعدها ثم نهضت واقفة فى حدة قائلة :

— عن اذنكم .. فقد أصابنى صداع مفاجئ ! !

نهض عادل واقفا بدوره وهو يقول :

— هل أحضر لك بعض أقراص الأسبرين ؟

قالت :

— أفضل العودة الى المنزل لأستريح .. عن اذنكم ..

غادرت أشجان المكان متبوعة بنظرات فتنة وبيرهان المتبادلة ، فى حين استأذن منهما عادل على عجل كى يلحق بزوجته التى سارت وكأنها تحمل هموم الدنيا كلها على كاهلها .

لم تتبادل معه كلمة واحدة فى السيارة . وفى المنزل قطع الصمت بسؤاله :

— هل أصبت حقا بصداع مفاجئ ؟ ! أم أنه كان مجرد عذر للتخلص من فتنة وبيرهان ؟ !

— من حقى ألا أجلس مع الذين لا أميل اليهم !

— ومن حقى أيضا أن أجلس مع الذين أميل اليهم ..

صوبت بعينيها أسهما نارية لأول مرة فى حياتها الى عادل . :

— بهذه البساطة تعترف لزوجتك بميلك الى مثل هذه الانواع ؟ !

تدارك عادل نفسه عندما أحس أنه تورط فى جملة لم يكن يحق له أن يقولها لأشجان . فقال محاولا تهدئة الايقاع :

— أقصد .. أقصد أننى لا أكرههن ..

— انك تكلم ببرهان هذه لأول مرة فى حياتك على ما أظن .. فهل استطعت بهذه السرعة أن تحكم ان كنت تميل اليها أو لا تكرهها ؟ !

أدرك عادل أن الجدل دخل به فى مناطق وعرة مجهولة فحاول الرجوع بأسرع مايمكن الى بر الأمان ، لكنه دون وعى منه زاد الطين بلة : .

— هذه نغمة جديدة لم أسمعها من قبل . هل تشكين فى ؟ !

— إننى لا أشك فى أحد .. لكن كل ما أريد قوله إننى لا أريد الذهاب الى هذا النادى مرة أخرى ! !

— ماذا جرى ؟ ! كنت تحبينه وتعشقين مناظره ؟ !

— شعرت اليوم أننى لا أنتمى الى هذا المكان ! !

— ليس لديك فى الطيب نصيب . . تماما مثلما رفضت رحلة هولندا من قبل .

— إنك لا تستطيع أن تجبرنى على الذهاب الى النادي ؟ !

— ومتى استطعت من قبل أن أجبرك على أى شئ آخر ؟ ! لك مطلق الحرية فى الامتناع عن الذهاب كما أن لى نفس الحرية فى الذهاب .؟

— لمشاهدة ست الحسن والجمال ..

انفجر عادل قائلا :

— اكشفى هكذا عن حقيقتك بدلا من التظاهر بأنك فوق مستوى الغيرة . . إنك تتفننين فى تعكير دمى كلما وجدت فى صحبة استمتع بها . ثم تقتلك الغيرة فى حين أشعر أنك عديمة الأنوثة ..

انفجرت أشجان فى البكاء والنحيب :

— اننى أستحق أكثر من هذا . . الآن أصبحت عديمة الأنوثة بعد أن رأيت الاغراءات الرخيصة تقدم لك على طبق من فضة .. قصارى القول : إن كنت لاتريدنى قلها بدلا من أن يعذب كل منا الآخر ..

— اسألى نفسك أولا ؟ !

— لن أدخل فى حوار عقيم .

قالتها ودست نفسها تحت الغطاء الذى امتد ليشمل وجهها ورأسها أيضا..

— أصبح الحوار معك مستحيلا ..

قالها عادل وذهب الى الشرفة ليجلس هناك فى الظلام . لأول مرة يشعر أنه فى حاجة الى التفريج عن همومه . ذهب الى غرفة الصالون وفتح علبة السجائر وأشعل منها واحدة وعاد الى الشرفة وظل ينفث الدخان بطريقة آلية ليس فيها أدنى استمتاع .

دق جرس التليفون فنهض للرد عليه :

ـــ آلو .. من ؟ ! من أنت ؟ ! انسان مخلص لى ؟ ! ماذا تعنى ؟ ! أنا آخر من يعلم ! ! ماذا تقصد ؟ ! تكلم بصراحة ؟ ! زوجتى على علاقة برأفت ؟ ! أنت كاذب ؟ ! أما أن تقدم الدليل أو تذهب الى الجحيم ؟ ! أبحث أنا عن الدليل ؟ ! ترمينى فى نار الشك ثم تطلب منى البحث عن الدليل ؟ ! أرجوك قل من أنت ؟ ! ولماذا تقول لى مثل هذا الكلام المرعب ؟ ! . . . . أسأل نفسى لماذا رفضت الذهاب معى الى هولندا ؟ ! آلو ...... آلو ..

كان المتكلم على الطرف الآخر قد وضع السماعة . لكن عادلا فى ذهوله ظل يدق بأصبعه على التليفون بجنون وهو يصرخ آلو . . . آلو . . لكن لا من مجيب .

وضع عادل السماعة وأحس بأن الغرفة تدور حوله والسيجارة تسقط من يده على مائدة التليفون فأسرع الى اطفائها بلا وعى . ثم سقط جالسا على المقعد المجاور وقد أصاب الشلل تفكيره . ماذا يفعل فى تلك النائمة أو المتناومة فى الغرفة الأخرى ؟ ! دق على جبهته بيده لعله يزرح تحت وطأة كابوس يريد الاستيقاظ منه ، لكنه تأكد من يقظته . رأفت وأشجان ؟ ! مستحيل ؟ أيصل بهما الأمر الى هذا الحد ؟ ! وأنا منهمك فى عملى ليل نهار ؟ ! غير معقول ! إنه كاذب يريد أن يدمر حياتى سواء فى العمل أو فى المنزل ؟ ! إن هذا الصوت لم أسمعه من قبل لكنه يعرف عنى كل كبيرة وصغيرة . لكن ماذا سيكون الوضع اذا كان فى كلامه أى ظل من الحقيقة ؟ ! إنه لن يقنع بأقل من قتلهما والشرب من دمهما ! لكنه اذا فعل هذا فسيقضى بيده على مستقبله وعلى حياته من أجل خائنين لايستحقان مجرد البصق عليهما . لو صح هذا الكلام فان خير حل تطليقها والقضاء تماما على مستقبل رأفت فى الشركة بل وفى أى مجال آخر ؟ !

لابد أن تحكم عقلك فى القرار الذى ستتخذه : إنك فى أشد الحاجة الآن الى عقلك قبل أن تقدم على خطوة تندم عليها العمر كله : هذا اذا كان فى العمر بقية ؟ ! إن أشجان أصرت بالفعل على عدم الذهاب الى هولندا : هذه حقيقة أعرفها جيدا ولست فى حاجة عن يؤكدها لى : فهل تصدق فعلا أن شابة مثلها فى سنها وحيويتها ترفض زيارة بلد جميل مثل هولندا لمجرد أنها تصر على أن توجد حيث يحتاج اليها الآخرون ؟! منطق هزيل غير مقنع ! هل رفضت الذهاب لقضاء ذلك الأسبوع معه ؟ ! ثم غريب أمر برودها معه ؟! هل لأنها وجدت الاشباع خارج البيت ؟! فى أثناء سفره اعترفت أنها لم تطلب من ساهر القيام بأية خدمة لها أو لأسرتها . فهل كان رأفت يقوم بهذه الخدمات الخاصة والأسرية ؟ أم اقتصر الأمر على خدمات الأسطى ربيع ؟ ! ولماذا أراد رأفت الانتقال من مكتب رئيس مجلس الادارة ؟! هل خاف أن تفضحه نظراته وحركاته فيشك فيه أو فيها ؟! ثم ما سر دفاع أشجان المجيد عن رأفت لدرجة أنها قالت له اليوم وهما فى النادى إنه كان أكثر من أخ لها ولى ؟ ! فعلا كل الشواهد تدل على أن هناك — على الأقل — علامات استفهام حائمة حول أشجان ورأفت ؟ ! ولابد من قطع الشك باليقين وليكن ما يكون :

دخل عادل غرفة النوم كالمسعور فوجدها نائمة على نفس الوضع الذى تركها عليه . أضاء ثريا السقف ثم انتزع عن جسدها الغطاء وهو يصرخ صرخات جعلتها تنهض وكأنها فى كابوس ألجم لسانها حين قال :

— لاتدعى النوم . : فلتعترفى لى بكل ما بينك وبين رأفت : • وإلا فلن يحدث طيب .. إن شرفى هو كل ما أعيش من أجله : : ولن أرحم من يحاول أن يطأه .: لم يتبق لى سوى أن أسمع مثل هذا الكلام ؟ !

نظرت إليه أشجان بعينين إمتزج فيهما الإحمرار بالدموع وهى لاتصدق ما تراه وما تسمعه . كان عادل يقف فى مواجهة زاوية السرير ينتفض ويلهث ويصارخ :

— تكلمى .. إعترفى .. ولاتدعى الجهل أو البراءة ؟ !

سحبت الغطاء على جسدها وهى جالسة وكأنها تنظر إلى شخص غريب لاتعرفه . تسلل الخوف إلى نفسها فأصابتها رعشة مفاجئة منعت الكلمات التى كانت تنوى إخراجها من فمها . لكنه إستمر فى صراخه :

— لن أتركك حتى تعترفى بكل شىء ؟ !

نظرت إليه نظرات غريبة كأنها تحت تأثير تنويم مغناطيسى ثم انفجرت صارخة باكية . لكنه استمر فى صراخه :

— لاتحاولى إستجداء عطفى .. إعترفى .. تكلمى ..

عندئذ قفزت من مكانها إلى دولاب ملابسها وبدأت فى ارتدائها وهى تقول عبر صرخاتها ونشيجها :

— ماذا تقول ؟ ! لقد جننت ؟ ! من المستحيل أن أعيش مع إنسان مجنون مثلك ؟ ! لن أظل صابرة على هذا العذاب والهوان .. لكل شىء حد .. احتملت كل بلاويك . أما أن تشك فى شرفى واخلاصى بلا مناسبة فهذا ما لايمكن أن أصبر عليه لحظة واحدة ..

ظل يرقبها حتى انتهت من ارتداء ملابسها وحملت حقيبتها بيد مرتعشة وسارت فى إتجاه باب الشقة . صرخ كالمجنون :

— إذا خرجت من هذا الباب فأنت طالق ..

لم تتردد لحظة واحدة بعد هذه الكلمة بل سارت بخطى ثابتة إلى الباب وفتحته وخرجت مغلقة إياه خلفها بدوى هائل .

(٢٣)

أصبحت الحياة ذات لون غريب وطعم أكثر غرابة . لم يكن يتصور الحياة بدون أشجان . عرفها منذ أن كان فى السنة النهائية فى كلية الزراعة فى حين كانت هى فى السنة الأولى . كان حبا من أول نظرة لكنه راسخ الجذور . وكانت من النضج المبكر والثقافة المتجددة بحيث سبقت من هم فى سنها فكراً وسلوكاً . وبعد تخرجه صارحها برغبته فى التقدم لطلب يدها لكنها طلبت منه الإنتظار حتى تتخرج بدورها ثم تساعده فى تحمل نفقات المعيشة . ووعدته بأن ترفض كل من يتقدم لها حتى لو إنتظرت سنوات وسنوات وسنوات . كان يستريح تماما لرأيها السديد لدرجة أن إحترامه لعقلها كان يزيد فى أحيان كثيرة على رغبته فى جسدها النحيف الرقيق . لم يكن يستطيع أن يستغنى عنها لحظة كما لم يستطع أن يمنع نفسه من إشتهاء الجميلات اللاتى يقابلهن . لكنه لم يحدث أن خانها سواء قبل الزواج أو بعده . كان يبرر مثل هذا الإشتهاء لنفسه بأنه حب الجمال الذى زرعه الله فى قلوب البشر . ولم يمر هذا على أشجان مر الكرام . فقد كانت قوية الملاحظة لكن فى صمت ودون أن يلاحظها أحد . ساعدها على ذلك نضوجها الفكرى وثقافتها الواسعة التى جعلتها تشعر أنها تملك ما لا تملكه الأخريات الجميلات من أمثال فتنة على وجه الخصوص .

لم تكن حياة عادل الدراسية سلسة متصلة : فقد انقطع عنها بعد إتمامه دراسة الثانوية العامة لمساعدة أبيه العامل الذى تقاعد بعد أن أوشك على فقد بصره . وكان على عادل أن يعمل ، وعمل بالفعل كاتباً فى أرشيف وزارة الزراعة سبع سنوات متصلة . كان يحلو له فيما بعد تسميتها بالسنوات السبع العجاف . لكن شوقه لإكمال دراسته كان يزداد بمرور الأيام . وظل يترقب الفرصة إلى أن جاءته بسفر أخيه الأكبر إلى الكويت ليعمل فى حقول تكرير البترول بعد خبرة عشر سنوات فى معمل التكرير بالسويس .

وكان المبلغ الذى يرسله الأخ الأكبر من الكويت كافياً للأسرة المتواضعة المكونة من الأب المتقاعد والأم المكافحة وأبناء أربعة وإبنة تزوجت وهاجرت مع زوجها مدرس الابتدائى إلى الولايات المتحدة بحثاً عن فرص أفضل . وإنتهز عادل الفرصة وإستقال من عمله ودرس نظام السنوات الثلاث ونجح فى الثانوية العامة بتفوق والتحق بكلية الزراعة بعد أن درس آفاقها وإمكاناتها فى أثناء عمله فى وزارة الزراعة . وكان نضجه وخبرته العملية فى الحياة وسنه المتقدمة من الأسباب التى جعلته يستوعب المحاضرات والمراجع بطريقة لم تكن متاحة لزملائه الذين يصغره بعضهم بعشر سنوات . كان متفوقاً فى دراسته لكن لم يكن فى نيته الإستمرار فى الدراسات العليا بعد التخرج ، فقد كان كل همه أن يحصل على مؤهل عال يشق به طريقه على مستويات أخرى .

وتخرج وهو فى الواحدة والثلاثين من عمره . وكان حظه سعيداً عندما سعى له رئيسه السابق فى وزارة الزراعة كى يعمل فى الشركة التى شهدت أمجاده فيما بعد . وهى الشركة التى عمل بها أبوه قبل أن يتقاعد ، والتى أنشأ بها اللجنة النقابية التى يرأسها عم درويش الآن . ولذلك بدأ عادل عمله قوياً منطلقاً عارفاً بكل أسرار الشركة ودهاليزها من أبيه ، مع وعى علمى بمنتجات الألبان واللحوم إكتسبه من دراسته الجامعية .

وبمجرد تخرج أشجان والتحاقها بالعمل فى الشركة العامة للتعبئة والتغليف تقدم لخطبتها وكان الإعتراض الوحيد عليه من أسرتها هو فارق السن الذى يصل إلى خمسة عشر عاماً . لكنها إستطاعت أن تزيل هذا الإعتراض بإصرارها وقوة شخصيتها . وكانت قدم السعد . فقد انطلق كالصاروخ بنجاحه فى انتخابات مجلس الإدارة ، ثم فتحت له طاقة القدر ووجد نفسه فوق مقعد رئيس مجلس الإدارة . ولم يكن يتسنى له كل ذلك دون وقفات أشجان المتتالية الصامدة معه .

وها هى الملحمة الرائعة تنتهى النهاية التى لم تكن لتخطر على باله حتى فى أشد الكوابيس وطأة . لقد تم الطلاق وهو يعرف جيداً أنه لن يستطيع ردها لأنه أدرى الناس بكبريائها . إنها طيبة ويمكن أن تصفح عن أخطاء كثيرة فى حقها ، لكن الأخطاء التى تمس كرامتها وكبرياءها يمكن أن تحيلها إلى وحش كاسر . وذلك ما لاحظه عندما هددها بالطلاق ثم ألقى عليها بيمينه . فقد سارت بخطى ثابتة وأوصدت الباب خلفها بدوى هائل لايزال يطن فى أسماعه حتى الآن .

أوشك عادل على الإنهيار الكامل . وقد لاحظت فتنة ذلك ومعها ساهر وعبدالحق وجعفر . ومع محاولات الحوار والملاطفة إستطاعت فتنة معرفة موضوع الطلاق الذى سرعان ما انتشر فى الشركة إنتشار النار فى الهشيم . وكان ذهولها عند معرفتها الخبر ذهولا بدا مصطنعاً لأول وهلة ، كما لو كانت تتوقع هذا الخبر وتريد تجنب أية شبهة . على الرغم من أن عادلا لم يقص عليها حكاية المكالمة التليفونية ودور رأفت فى هذه المأساة التى لايعرف حقيقتها على وجه اليقين . لكن فتنة لم تقتنع – كما قال لها – إن المسألة مجرد طلاق وقع فى أعقاب شجار . صحيح أنها كانت تشعر بالتوتر الذى ساد حياتها الزوجية فى

الفترة الأخيرة . لكن أن يصل إلى حد الطلاق فلابد أن يكون هذا نتيجة لنقطة تحول خطيرة .

كان رأى عادل أن يكتم الخبر عن الشركة بصفة عامة لكن فتنة أقنعته بأن ما حدث يحدث يومياً وليس فيه ما يمس ، وسوف يعرف إن عاجلا أو آجلا . وارتاح عادل لأنه كتم دور رأفت المشبوه فى أعماقه حتى لايتنبه هو نفسه له ويأخذ حذره منه ، وخاصة أن احتكاكه به أصبح مباشراً بعد دخوله مجلس الإدارة . وعليه أن يسخر فتنة فى عملية الانتقام من رأفت ولكن بشرط أن تتأكد من أن دوافع الانتقام دوافع وظيفية بحتة ، إذ أن شبهة رأفت تمس شرفه هو شخصياً .

وعندما بلغ خبر الطلاق أسماع رأفت ودرويش ، قال رأفت لأصدقائه العمال إن هذا يؤكد رأيه فى عادل الذى أراد أن يتخلص من كل علاقاته السابقة بماضيه وكفاحه من أجل الكادحين ، بعد أن استمرأ حياة الرفاهية الأرستقراطية . وأنه دخل الطريق الذى لاعودة له منه . وكان بعض العمال يأمل أن يثوب عادل إلى رشده وأن يبتعد عن بطانة السوء ، لكن بطلاق أشجان التى كانت تشكل رمزاً جميلا فى حياتهم ، أصبحت كراهيتهم له تفوق كراهيتهم لعبدالعظيم الدمنهورى .

بعد الطلاق كانت فتنة رهن إشارة عادل الذى شعر أنها سنده الرئيسى فى محنته . كذلك انطلق جعفر إلى منزله لتنظيفه وإعداد الطعام . ولم يتقل ساهر عليه بتقديم كل أوراق المكتب إليه بل كان يتصرف فى بعضها من نفسه ، وكان يؤجل البت فى بعضها الآخر . أما عبدالحق فقد إستغل مهارته ودرايته الإدارية فى تهدئة إيقاع العمل بوضع كل العقبات الممكنة حتى يتسنى لعادل أن يلتقط أنفاسه .

كانوا يشكلون أسرته الجديدة التى سعد بها أيما سعادة ولم يعد يشعر بالغربة وسطهم . بل كان يقلق إذا غابت عنه فتنة فترة أطول من اللازم . وكانت تقابله بصفة منتظمة فى النادى فى فترة المساء وفى صحبتها بيرىهان التى أصبحت من أعز أصدقاء عادل وأقربهم إلى قلبه . وكانت فتنة تلمح دائماً لعادل فى غيبة بيرىهان أنها لم تعد تستطيع الإبتعاد عنه ، لكنه لم يكن يتصور الإرتباط بالزواج من أية أمرأة أخرى غير أشجان . وعندما تأكدت فتنة أن شبح أشجان لم ينقشع بعد عن حياة عادل الذى كان يحن فى أعماقه إليها ، قررت إقتلاعها من هذه الأعماق .

اقترحت عليه الذهاب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فى الأسكندرية حتى تستريح أعصابه من الأزمة الطاحنة التى مر بها . لكنه قال لها :

ــ ليس لى مكان خاص بالأسكندرية ..

أجابت فى ثقة متناهية :

ــ لساهر شاليه فى العجمى ..

ــ لكننا الآن فى أواخر أكتوبر ولم يعد جو الأسكندرية صالحاً للإستجمام

ــ إن روعة الأسكندرية لاتبدو إلا بعد رحيل المصيفين عنها ..

ــ لكننى سأشعر بالوحدةوالعزلة هناك وستهاجمنى الأفكار التى أسعى جاهداً للهروب منها ..

ــ لن نتركك وحدك . سأتى معك أنا وساهر ..

ــ وماذا سيقول العمال لو عرفوا ؟ !

— لن يعرف أحد شيئاً . حتى الأسطى ربيع لن يأتى معنا فسوف يصطحبنا ساهر فى عربته ولن يزيد الأمر على يوم وليلة .

—إنك تتصرفين دائماً يافتنة كما لو كان خاتم سليمان فى يدك !
إن الإنسان يعيش حياته مرة واحدة فقط .. وعليه أن يعيشها بقوة حتى لا تفلت من بين أصابعه دون أن يدرى ..

(٢٤)

ليالى الخريف فى الأسكندرية مثيرة لأحاسيس سرمدية لايمكن تحديدها : لسعة البرد تجمع بين الشقاوة والمشاكسة والمداعبة . أمواج البحر تتلاطم ثم تستلقى على الشاطئ فى صفاء وطهارة تعيد الأذهان إلى بداية الخليقة قبل أن ينفصل الإنسان عن عناصر الطبيعة . القمر يتهادى خلف السحاب ملامساً بضوئه قمم الأمواج كلما وجد فرصة للتسلل .

تابع عادل المنظر خلف نافذة الشاليه الزجاجية فى حين جلست فتنة أمام التليفزيون تشاهد فيلم السهرة . كانت ترتدى قميص نوم قصيراً وردى اللون وفوقه روبا نبيذى اللون ذكره بلون الفستان الذى ارتدته يوم رأى لأول مرة فى مكتب عبدالعظيم الدمنهورى مفرق صدرها البض الأبيض . وعلى الرغم من أنها كانت تجلس محتشمة تماما داخل الروب الطويل ، فان شعرها الذهبى المنثور على كتفيها جعلها تشع بالرغبة والأنوثة الدافئة . نظر عادل إلى ساعته وقال :

– لقد تأخر ساهر ؟ !

– إنه عندما يذهب لزيارة أخته فى « ستانلى » .. فإنه يجد متعة الدنيا فى قضاء أطول وقت ممكن مع أولادها . كذلك لاتنس طول المسافة بين ستانلى والعجمى ..

– هل يحب ساهر السهر ؟ !

ضحكت فتنة ضحكة عالية وهى تقول :

– إنه إسم على مسمى ! !

شاركها عادل الضحك لكنه استدرك :

– وما المدى الذى يمكن أن يصل إليه فى السهر ؟ !

– حتى مطلع الفجر ..

نهضت فتنة من مكانها وأغلقت التليفزيون وجلست بجوار عادل الذى تشبع أنفه بعطرها فى لحظة تخدير عابرة. ظلت تسرح البصر بين القمر خارج النافذة وبين وجهه القريب منها فى صمت لايقطعه سوىهدير الأمواج على الشاطئ القريب . أراد أن يكسر حاجز الصمت الرهيب الذى برز فجأة فقال :

– هل وصلت إلى قرار بخصوص رأفت ؟ !

– إن رأفت شاب صعب المراس وخاصة بعد أن زاد ثقله بدخوله مجلس الإدارة ..

– هل نتركه يستقطب العمال ضدنا ؟ !

– لاتخف . سنقضى عليه فى عقر داره !

– كيف ؟ !

– سأتفق مع دلال –

قاطعها عادل :

– من هى دلال هذه ؟ !

– كيف نسيتها ؟ ! إنها سكرتيرتك السابقة وأنت عضو مجلس إدارة ..

ـ تذكرتها ! ! إنها فتاة لعوب خطيرة !

ـ وخير من يقوم بهذه المهمة !

ـ ستحاربينه بالأسلحة الأنثوية ؟ !

ـ إنها أمضى أسلحة فى مواجهة من يحتمى بالعمال !

ـ وماذا ستفعلين ؟ !

ـ إنه سر المهنة .

قالتها فتنة ضاحكة وهى تميل بخصلات شعرها الذهبى على كتف عادل لأول مرة فلفحه عطرها المخدر فأثار فى مكامنه أمواجا كادت تغرق شاطئها . تذكر أنه قرأ فى صباه عن أسطورة حوريات الماء ذوات الجمال الصارخ والصوت الساحر اللاتى إذا أستطعن التأثير على رجل فانهن يسحبنه معهن إلى قاع المضيق حيث لاعودة . رأى عادل فى فتنة إحدى هذه الحوريات وقد بدأ يستسلم تماما لجمالها الصارخ وصوتها الساحر . حاول المقاومة فقال :

ـ لم أتوقع أن يتأخر ساهر حتى هذا الوقت من الليل ؟ !

أجابت بصوت كفحيح الأفعى وهى تقترب منه على الأريكة الوثيرة :

ـ لاتحمل هم ساهر . ربما أصرت أخته على أن يبيت عندها .

قال بصوت يمزج رعشة الخوف برعشة الرغبة :

ـ وهل يمكن أن نبيت سوياً أنا وأنت دون أن يكون معنا ثالث ؟

اقتربت حتى التصقت بذراعه اليمنى :

ـ لن يعرف أحد هذا .

ـ ساهر يعرف على أقل تقدير ؟ !

ـ ساهر بئر عميق تسقط الأسرار فى قاعه حيث لاعودة .

وقعت كلمة « الأسرار » من أذنه موقعاً غريباً فغلبت رعشة الخوف فى داخله على رعشة الرغبة . سألها :

– أمتأكدة أنت من ساهر ؟ !

– هل قص عليك أية معلومات عن عبدالعظيم الدمنهورى ؟ !

– لم يحدث .

– ماذا كان يفعل الدمنهورى ؟ !

– لن أحكى

– لماذا ؟

– إنه سر المهنة .

ألصقت نهديها بذراعه وكتفه وتركت الصمت يكمل الإيقاع : نظر خارج النافذة فوجد القمر يداعب السحب التى تحاول الإلتفاف حوله . التفت إلى الداخل فرأى ضوء القمر على وجهها وخصلاتها الذهبية : هل يترك الحورية تذهب به إلى القاع أم يقاوم ؟ ! هدير الأمواج يسمعه فى أعماقه : ملايين النمل التى دبت على الأرض منذ بدء الخليقة تسرى فى أطرافه : تضاءل الكون كله حتى احتواه شاليه العجمى . أين أنت يا أشجان ؟ ! سألته فتنة فجأة :

– ما رأيك فى بيريهان ؟ !

– إنها فتاة لطيفة ساحرة . .

– إنها تتمنى الزواج منك . . ولاينقصها شىء : الجمال والمال والحسب والنسب .

– وأشجان ؟ !

— راحت إلى حال سبيلها ..

قالتها وهي تحتضنه . وعندما اقتربت الشفاه من الشفاه تحت الرغبة الخوف وأطبق عليها فى عناق سمع معه دوامات المياه المالحة وهى تصب داخل أذنيه ساحبة إياه إلى القاع . كان ملمس الأمواج على جسده العارى مثل جلد ثعبان جميل . أمواج الفتنة طغت على كل الأشياء . إن جسدها أروع من أى خيال : امتزج العطر المخدر بالقمر الفضى بالأنفاس اللاهثة بالحنايا الملتهبة بالدماء الساخنة فسقطت أشجان النحيفة الضامرة السمراء إلى القاع البارد مثل تمثال أميرة فرعونية اجتاحه فيضان النيل .

غاب القمر خلف السحاب ولم يتبق فى الغرفة سوى نور الأباجورة الخافت . استرخت العروق المنتفضة ، وتراخت الأمواج على الشاطئ ، واستكان القلب المضطرب ، وساد السكون الذى يحمل فى طياته ملايين الأسئلة الحائرة وملايين الاجابات المتراقصة . عند الأفق رأى عادل أنوارا تربط السماء بالبحر ، عرف أنها قوارب الصيد التى تقضى فى البحر أياما عديدة قبل أن تعود إلى الشاطئ محملة بصيدها ، وأحيانا لاتعود أبداً . لكن لايعرف إنسان أين يكمن الخطر ؟ أحيانا يعود الإنسان من بحر عاصف انقلب فيه قاربه وظل ممسكا بلوح من الخشب حتى بر الأمان ، وأحيانا يخرج الإنسان فى منزله ليتريض فتصدمه عربة ويموت فى الحال . تعجب عادل لهذه الأفكار التى تهاجمه فى أعقاب لحظات الخدر والنشوة : لم تتوقف أفكاره إلا بسؤال فتنة المنبعث مع الضوء الأحمر الخافت :

— لم تقل لى رأيك فى الزواج من بيرسهان ؟ !

أحس بصوته خافتا قادماً من الأعماق لكنه مسموع :

– بعدك لا أستطيع أن أفكر فى امرأة أخرى !

– أتتزوجنى ؟ !

استيقظ عادل من نشوته متسائلا فى انزعاج :

– ماذا ؟ !

– لاتنزعج هكذا .. إننى أداعبك .. فأنا أدرى بالرجل الشرقى .. إنه لايحب أن يتزوج من المرأة التى تعطيه كل شىء ..

– لم أقصد هذا ..

– لايهم .. ما رأيك فى الزواج من بربهان ؟ !

– أستطيع أن أعيش هكذا بلا زواج ..

– لكننى فى أحيان كثيرة لا أستطيع أن أقوم إلا بدور السكرتيرة ..

– حماسك لزواجى من بربهان يثير الدهشة ؟ !

– أريد أن أراك مستقراً سعيداً !

– إلى هذا الحد تهتمين بى ؟ !

– وأكثر ! !

– لك ما تشائين ..

– سوف أخبرها بالنبأ السعيد ..

– لكنها لن ترضى بشقة شبرا ..

– فعلا .. إنها تريد شقة فى الجزيرة تطل على النيل ..

– ومن أين آتى بالمال اللازم لهذا وأنا لا أملك سوى مرتبى ؟ !

— أبواب الرزق واسعة لمن يدقق النظر ! !

— ماذا تقصدين ؟ !

— أنت رئيس مجلس الإدارة وأدرى منى بأبواب الرزق ! !

— لن أمد يدى للمال الحرام !

— فليقطع لسانى إذا كنت قد ذكرت سيرة « المال الحرام » !

— بعد الشر على لسانك .

— لابد أن تعرف أن أصغر عامل فى شركتك يستطيع أن يحصل على ضعف مرتبك من عمله الحر فى فترة ما بعد الظهر !

— أعرف ..

— لكنك تعمل أحيانا فى مكتبك حتى ساعة متأخرة من الليل دون أن تحصل على ما يوازى هذا المجهود والسهر بدليل أنك لم تستطع أن تنتقل من شقتك الصغيرة التى أجرتها وأنت موظف عادى ..

— أعرف كل هذه الحقائق . لكن ما العمل ؟ !

— العمل فى منتهى البساطة .. وهو أنه عندما لايقدرك الآخرون حق قدرك فليس أقل من أن تقدر أنت نفسك التقدير المناسب ..

— لك منطق فيه من الإغراء ما يخيف ! !

— أمتع ما فى الإغراء أن الناس يخافونه ويعشقونه فى آن واحد !

— وماذا عن القانون الذى لايرحم ؟ !

— إبعد عن الشر وغنى له ! !

— هذا ما أحاولى إتباعه . .

– إذاً إتفقنا .. إن صناع القانون أذكياء لكن منفذيه يمكن أن يكونوا أكثر ذكاء :

– هل المسألة مجرد مباراة فى الذكاء ؟!

– إن الأذكياء والمفكرين هم الذين يصنعون الحياة !

– لكن سيف القانون مسلط على الأذكياء أيضاً !

– لقد مات عبدالعظيم الدمنهورى وسار الجميع خاشعين فى جنازته .. وكنت أنت أولهم برغم أنه كان أول يوم لك فى شهر العسل ..

لاحظ عادل أن فتنة ترتدى الروب النبيذى فى حين تناثرت ملابسها الداخلية يمنة ويسرة . ظهر فخذها الأبيض المرمرى من فتحة الروب فنسى عادل أن يرد على آخر جملة قالتها . فى اللحظة نفسها نهضت فتنة واقفة فبدت فى الروب إحدى آلهات الإغريق أو الرومان وقد خرجت لتوها من رحم التاريخ ، خرجت حية متفجرة مشعة . راقبها فاذ بها تلقى بالروب جانباً وتبدأ فى ارتداء ملابسها الداخلية قطعة قطعة وهى تسأله :

– هل تتفق معى فيما قلته ؟ !

تساءل فى شرود مشوب بالتخدير :

– ماذا ؟ !

أعادت الكرة وهى تتباطأ فى إخفاء جسدها :

– هل كنت معى فيما قلته ؟ !

أجاب وهو يطبع فى ذهنه ما يشاهده صورة وراء صورة :

– معك .. أنا على إستعداد للذهاب إلى الجحيم .

(٢٥)

فى شقة عم درويش المتواضعة فى شبرا البلد جلس عم درويش يرحب بضيفه المهندس رأفت الذى قال بمجرد أن انتهى من شرب عصير الليمون :

ـ لم يعد السكوت ممكنا على ما يجرى فى الشركة ؟ !

ـ سمعت أنه قرر شراء الأرض الخلاء المجاورة لمبانى الشركة لإقامة نادى وملعب لكرة القدم . وأنه استقبل فى مكتبه الأسبوع الماضى الولد شمطة لاعادة تكوين الفريق ..

ـ إنه ينفذ كل ما اعترض عليه وهو خارج المجلس ! !

ـ لا أعرف ماذا جرى له ؟ ! هل نقول : أصابته عين ؟ !

ـ لست أنت ياعم درويش الذى تؤمن بهذه الخرافات !

ـ لكن بماذا نفسر هذا الانهيار المفاجئ والسريع فى شخصيته ؟ !

ـ لقد أسلم قياده تماما لبطانة الشيطان !

ـ خسارة .. لقد بدأ بداية عظيمة ويبدو أن نهايته ستكون عظيمة أيضاً .. عظيمة فى مصيبتها ..

– ولقد بدأت بوادر النهاية فى قيامه فعلا بشراء الأرض الخلاء برغم إستماتتى فى الإعتراض على ذلك . ولم يقتصر الأمر على ذلك . بل حاول الولد شمطة التحرش بى بعد مقابلته لعادل لولا تصدى العمال له .

– بدون قطع كلامك .. وقبل أن أنسى .. لاحظت أن البنت اللعوب دلال جاءت فى غيبتك لتسأل عنك أمس ثلاث مرات – وكلنا نعرف من هى دلال .

– كل هذه حيل مكشوفة لايمكن أن تجوز على .. فنحن أقوياء لأننا أنقياء . أما الملوثون فهم الضعفاء ..

– لكن كيف نثبت أنه ملوث ؟ !

– أنا عندما أقول هذا الكلام ياعم درويش فلابد أن تتأكد أن لدى مايثبته . لاتنس فأنا تلميذك ..

ضحك درويش وهو يقول :

– العفو ياباشمهندس .. أنت أستاذ كبير ..

– لقد ثبت أن عادلا اشترى الأرض الخلاء بضعف ثمنها . ولابد أنه اقتسم المبلغ مع البائع .

ابتسم درويش وقال :

– لقد أصبحت ضابط مباحث ياباشمهندس !

– إذا كانت نفسه قد سولت له أن يحاربنى بشمطة ودلال فلابد أن آخذ حذرى وأهاجمه فى ثغرات ضعفه حتى أكشفه للجميع على حقيقته . فلم تعد أنصاف الحلول تجدى فى مثل هذه الصراعات المفتوحة .

– وكيف تثبت كلامك ؟ ! أنا بصراحة خائف عليك منه !

ـ عندما وجدت إصراره العجيب على مشروع النادى والفريق شككت فى الأمر ورفضت الموافقة عليه . وعندما عرفت بالمبلغ المدفوع ذهبت إلى خبير تثمين أراضى فأخبرنى أن موقع الأرض ومساحتها لايزيدان على نصف المبلغ المدفوع .

ـ لهذه الدرجة ؟ !

ـ ولم يقتصر الأمر على هذا . بل قام بتعيين استشارى قريب لفتنة وعهد إلى مكتبه المتخصص إنشاء المشروع . وعندما اعترض الأستاذ سالم العضو القانونى على الإجراءات نهره بقوله إنه يثق فى هذا الاستشارى وثقته كافية لإختياره .

ـ فعلا .. أصبح أسوأ من عبدالعظيم الدمنهورى ! !

ـ وعندما اعترض الأستاذ سالم على عدم شرعية الإجتماع وكل الإجراءات التى ستنتج عنه بسبب غياب مندوب مجلس الدولة قال الأستاذ عبدالحق إن إدارته قامت بارسال خطاب مدير الشئون القانونية إلى مجلس الدولة لكن أحداً لم يرد . وأنا شخصياً أشك فى أن عبدالحق قام بارسال الخطاب أساسا .

اجتاح الإحساس بالإثارة عم درويش فقال :

ـ سمعت من العمال أنه يذهب إلى النادى يومياً ويجالس فتاة آية فى الجمال تعرف عليها عن طريق فتنة ؟ !

ـ هذا صحيح . ويبدو أن هذه الفتاة وراء كل المصائب التى ستحل على رأسه ! !

ـ كيف ؟ !

— لأنه اشترى شقة تطل على النيل ويبدو أنه ينوى الزواج منها ؟

— كل هذا من العمولة التى قبضها ؟ !

— والأمر لن يقتصر على هذا .. بل إن عملية إقامة منشآت النادى ستمنحه المزيد من السرقة ؟ !

— كل هذا على حساب العمال الذين أوصلوه إلى النعمة التى هو فيها . أين ميزانية مشروع محو الأمية ؟ ! ومشروع دار حضانة أطفال العاملين والعاملات ؟ ! وإقامة وحدة الأمن الصناعى ؟ ! وإنشاء العيادة الداخلية ؟ !

— هذه أشياء أصبحت لاتهمه . فهو يرى فى إقامة النادى الثروة والشهرة عندما يجد فريقه يجرى بين فرق الدورى العام ! !

— وما العمل الآن ؟ !

— لابد أن نبلغ النيابة والمسئولين بكل المخالفات التى وقعت . لأنه حرام أن نترك أموال عمالنا الكادحين كى يصرفها على الشقق الفاخرة والفتيات والنوادى . لاتوجد خيانة أبشع من هذا . وخاصة أن إثبات سعر الأرض أمر ميسور وليس فى حاجة إلى مباحث وتحريات .

— لقد حفر قبره بيده .

— عليه أن يدفع الثمن كاملا .. كما تجرأ ودفع ثمن الأرض مضاعفاً .

(٢٦)

اهتزت الشركة عندما صدر قرار إقالة عادل وإحالته إلى التحقيق فى شأن المخالفات التى ارتكبها . لم يأسف العمال له لكنهم تعجبوا من السرعة التى كشفت بها الإرادة الإلهية عن نفسها . انتهت أسطورة عادل أمين بين يوم وليلة . والعجيب أن البطانة لم تحزن أو تهتز بعد أن طمأنها عبدالحق فى أن أحداً منهم لم يوقع بامضائه على أوراق شراء الأرض واقامة النادى ، والتحقيق ينهض على ما هو مثبت بالأوراق . وقد غامر عادل بمخالفة الإجراءات القانونية لأنه لم يكن يملك صبر عبدالعظيم الدمنهورى وحكنته ودهاءه. وكان من رأى فتنة أنه تسرع أكثر من اللازم على الرغم من أنها كانت الدافع الأساسى وراء كل هذه المخالفات والكوارث. ثم نسيت البطانة موضوع عادل أو كادت وبدأت تخمن اسم رئيس مجلس الإدارة الجديد .

ترددت الإشاعات قوية بأن رأفت مرشح لرئاسة مجلس الإدارة وخاصة أنه هو الذى كشف عادلا ، وتضايقت البطانة كثيراً من هذه الإشاعات لأنه لابد أنه سيبطش بهم واحداً واحدا . لكن عبدالحق طمأنهم مرة أخرى بأن

التاريخ لايكرر نفسه بهذه البساطة ، فى حين قالت فتنة إنها قادرة على التعامل معه حتى فى حالة وصوله إلى المنصب وإن كان يبدو أنه يحتاج إلى مجهود أضخم من ذلك الذى بذلته مع عادل :

قاوم رأفت هذه الإشاعات وقال إن همه الأساسى هو التفانى فى خدمة زملائه العمال وإنه لايطمع فى أى منصب مهما كان ، لكنه سعد فى أعماقه بهذه الإشاعات أيما سعادة ، وآمن بامكان حدوثها كما حدث لعادل من قبل . بل وتخيل نفسه جالساً على مقعد رئيس مجلس الإدارة من أجل خوع العمال الكادحين ، وهو يوقع قرار مشروع محو الأمية وإنشاء دار حضانة أطفال العاملين ، ووحدة الأمن الصناعى ، والعيادة الداخلية ، ثم الإنطلاق بالإنتاج إلى التصدير إلى الأسواق العالمية . فى تلك الأيام كانت أحلام اليقظة تلك ، المتعة المتجددة لرأفت ، ولم يخجل منها لأن تحقيقها كان أمراً وارداً على مستوى الواقع .

أما عادل فقد شعر بكابوس جثم على أنفاسه ولم يحل عنه ، أو بقبضة حديدية انهالت على رأسه فبعثرت مخه يمنة ويسرة . لم يعرف لماذا عاوده التفكير بجنون فى أشجان . لكن أين هى ؟! لقد ذهبت إلى حال سبيلها كما قالت فتنة لعنة الله عليها . كانت ساعات التحقيق طويلة مرهقة مملة مخيفة . عز عليه أن يرى نفسه متهما فى شرفه مطعونا فى كرامته أمام الجميع ، وتذكر يوم طعن أشجان فى شرفها وألقى عليها بيمين الطلاق فى حين أنها الشرف والأخلاص وقد سارا على قدمين أما هو فهناك فى الأوراق الرسمية مايثبت غشه وخداعه وسرقته . كم تحملت من أجلى يا أشجان ؟ ! وفى النهاية طردتك من حياتى شر طردة من أجل حفنة من الكلاب المسعورة الجميلة .

فى يوم انتهى التحقيق مبكراً فقرر الذهاب إلى النادى لمقابلة بربهان لأول مرة بعد اقالته من منصبه . وهناك وجد امرأة مختلفة تماما عن تلك التى عرفها من قبل وكانت تسيل عذوبة ورقة وأنوثة . أما الآن فهى تجلس متجهمة غير منصتة إليه وهو يؤكد لها أنه سيتمكن من إثبات براءته وسيعود منتصراً إلى منصبه مرة أخرى . لكنها فاجأته بقبضة حديدية جديدة عندما أنبأته بأن قرارا صدر بنقل توفيق بك رئيس مجلس إدارة الشركة العامة للتعبئة والتغليف إلى شركته كى يحتل منصبه ولذلك فان الأمر انتهى بالنسبة له . ألم يجدوا سوى توفيق بك كى يحل محله ؟ ! لكنه لايتخير عن توفيق بك ! على الأقل ظل إسمه بعيداً عن أية مساءلة قانونية ! سأل عادل بربهان فى شىء من الحرج :

— وماذا عن زواجنا ؟ !

أشاحت بوجهها بعيداً وقالت :

— إننى من عائلة كبيرة محافظة وأرستقراطية .. ومن الصعب أن أتزوج من رجل لم تثبت براءته بعد ! !

رأى السم يقطر من لسانها الجميل . لم يعبأ بما قالته كما لو كان يتوقعه ، سألها :

— ألم ترى فتنة ؟ ! حاولت الإتصال بها أكثر من مرة فى البيت والمكتب فقيل لى إنها غير موجودة ..

— لم أرها منذ استلام توفيق بك عمله الجديد فى الشركة ..

إظهرن على حقيقتكن يابنات الأفاعى . لقد كنت ضحية العمى والغباء ، ويوم أصرت أشجان على إضاءة طريقك دست على الشمعة بحذائك الغليظ ، أين أنت يا أشجان ؟ ! أين أنت يارفيقة الدرب والعمر والمستقبل ؟ !

ترك عادل بربهان لأنه لم يعد هناك ما يقال . أدرك فى تلك اللحظة لماذا كرهت أشجان هذا النادى وقررت عدم التردد عليه ؟ ! كانت تحسده على بعد نظره ، لكنه عندما أصبح رئيساً لمجلس الإدارة تحدد نظره بحدود جدران غرفته الأنيقة ، وأصبحت أشجان أبعد منه نظراً . وكان أسفه مراً لأنه أدرك هذه الحقيقة بعد فوات الأوان .

عاد عادل للوقوف أمام المحققين الذين ناقشوه فى كل كبيرة وصغيرة منذ توليه رئاسة مجلس الإدارة . وشرعت البطانة فى التفاهم مع البطانة القادمة مع توفيق بك الذى سعد بفتنة نجمة ليالى الأنس والفرفشة . وسرعان ما بدت بوادر الصراع بين البطانة القديمة والبطانة الجديدة ، وهو صراع لم يشأ توفيق بك أن يحسمه لحاجته إلى البطانتين : البطانة القادمة لزوم تسيير دفة العمل بأسلوبه الخاص والبطانة الأصلية لزوم المزاج والمرح والبهجة . لكن فرحة بطانة توفيق بك كانت عارمة يوم تم استدعاء فتنة وساهر وعبدالحق للتحقيق . يومها عرفوا أن عادلا طبق مبدأ « على و على أعدائى » وهدم المعبد على رؤوس الجميع .

فى آخر أيام التحقيق مع عادل انتهى التحقيق فى ساعة متأخرة من الليل . خرج عادل إلى الشارع الذى رآه مظلما على الرغم من أضوائه الساطعة . سار على غير هدى . لقد انتهى التحقيق ولا يعرف نتيجته التى لاتثير فى نفسه أى احساس بالتفاؤل . أين يذهب ؟ ! انفض الجميع من حوله . ضاع مستقبله العريض فى غمضة عين . ظل سائراً لايسمع صوت المارة حوله لا ضجيج العربات بحذائه . لم يستطع تخيل حياته بمفرده فى شقته بشبرا حيث العزلة القاتلة والوحشة المميتة بعد أن كانت أشجان تثير فى ركناتها الحب والحنان

والرقة والصفاء : آه ! أين أنت يا أشجان ؟ ! ياحبيبة العمر ومعبودة القلب الخائن الذى لم يقدرك حق قدرك .

أشجان !

ومضت فى ذهنه فكرة كما يومض البرق فى الليلة الحالكة السواد : لماذا لايذهب اليها ؟ ! وليحدث ما يحدث ! ! لم يهتم بالساعة المتأخرة من الليل ، ولم يفكر فى الطريقة التى يمكن أن تقابله بها : كل ما يريده هو أن يرى وجهها الأسمر الجميل حتى لو طردته وأوصدت الباب فى وجهه .إنه سيسعد حتى بطردها إياه ؟ ! يكفى أنها ستعرف أنه أدرك قيمتها أخيراً وأنه ليس بالغباء الذى تصورته عنه . ستتصور أنه هرع اليها عندما انفض الجميع من حوله ، لكن هذا لايهم أيضاً لأنه الحقيقة . نعم انه يحتاج إليها كما يحتاج العطشان إلى رشفة ماء .

حث الخطى دون أن يفكر فى ركوب أية وسيلة للمواصلات : وجد نفسه أمام بيت أسرة أشجان : كان السلم مظلما لكنه تحسسه صاعداً لمعرفته بكل تفاصيله : حتى الدرجة الحجرية المكسورة يعرفها جيداً : كانت أنوار الشقق مطفأة تماما . فقدآوى الجميع إلى الفراش هربا من برد ديسمبر وأطبق الصمت والظلام على البيت : ومع ذلك استطاع عادل أن يميز الشقة التى وقف أمامها متردداً . هل ينقر على الباب بأصابعه أم يضرب الجرس ؟ ! وقبل أن يقرر وجد أصابعه تنقر على الباب ، لكن أحداً لم يستيقظ : كرر الدقات لكن النتيجة واحدة : لم يجد بدا من ضرب الجرس مرة ومرتين وثلاث ، إلى أن سمع صوتا من الداخل يقول فى فزع : من ؟ ! من بالباب ؟ ! ثم أضيئت الصالة :

رقص قلب عادل خوفاً وإثارة . إنه صوت أشجان الذى يستطيع أن يميزه وسط ألف صوت . أعادت أشجان السؤال المرتعش مرة أخرى : من ؟ ! من يضرب الجرس ؟ !

أجاب عادل دون أن يفكر فى الكلمات التى سيقولها : أنا عادل . افتحى يا أشجان . وددت أن أقول لك شيئاً وأعود إلى حال سبيلى .

فتحت أشجان الباب ربع فتحة ورأت فى ضوء الصالة عادلا . سمع دقات قلبه عندما رأى وجهها الذى لم يتخلص بعد من آثار النوم وقد ارتدت روبا من الكستور الأخضر . سألته فى قلق وخوف :

– ماذا أتى بك فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ !

لم يعرف ماذا يقول ؟ ! لكنه وجد الدموع تسيل من عينيه دون بكاء وهو يقول لها كطفل يخاطب أمه :

– لم أجد مكانا آخر أذهب إليه .

فتحت الباب على مصراعيه وقالت له بنفس الحنان القديم :

– تفضل . أدخل .. بيتك ومكانك .

دخل وسار إلى غرفة الصالون . رأى فى الصالة أم أشجان تقف متجهمة حزينة مرتعشة . أحنى رأسه لها ودخل . سمعها تسأل ابنتها عن الأمر لكنها طمأنتها وطلبت منها أن تعود لنومها وسترى بنفسها الموضوع . دخلت أشجان الغرفة وجلست قبالة عادل الذى ظل ناظراً إلى نقوش السجادة تحت قدميه . قطعت أشجان الصمت بسؤالها مرة أخرى :

– خيراً . ماذا حدث كى تأتى فى هذه الساعة المتأخرة ؟ !

قال عادل وهو يغالب الدموع بشفتين مرتعشتين :

ـ لم تتغيرى يا أشجان . نفس الكرم . نفس الحنان . نفس العطف ..
صحيح أننا فى الساعة الثالثة صباحا لكن أعذرينى . أحسست بالضياع والموت يسرى فى أعماقى ولم أجد صخرة أتشبث بها سواك . لم أستطع أن أنتظر حتى الصباح . فجئت طالبا الصفح عن كل ما أرتكبته فى حقك . هذا كل ما أطلبه ولك أن تفعلى ما تريدين . حتى لو قمت بطردى الآن فلن أندم على مجيئى . على الأقل تكونين قد انتقمت من الإهانات والطعنات التى إنهلت بها عليك وأنت أروع زوجة فى الوجود .

صمت عادل وساد السكون الغرفة فلم تحتمله أشجان وقالت :

ـ إننى أراك ياعادل لأول مرة وقد فهمتنى تماما دون أن تدرى . إن الحب الحقيقى لابد أن ينهض على الحاجة المتبادلة واللهفة المتبادلة . وإذا كانت حاجتك لى قد بلغت بك هذا الحد ، فلاشك أنك تحبنى الآن حبا لن يتأثر بما سوف تأتى به الأيام . إن الحب لايعرف الإنتقام .

لم يصدق عادل أنه يسمع من أشجان هذا الكلام . وانطلق يتكلم ويتكلم ويتكلم مثل أخرس حلت عقدة لسانه . وأشجان تنصت وتعلق وتضيف وتصحح وتنفعل وتبتسم . واستمر بهما الحديث ذو الشجون حتى مطلع الفجر لقد صفحت عن كل أخطائه بل وقررت أن تعود معه إلى بيتهما . تركته فى الغرفة لتبدل ملابسها وتخبر أمها وأسرتها بقرارها ، فى حين نسى عادل كل آلام التحقيق وضربات الإحباط التى تلقاها فى الفترة العصيبة الماضية .

عادت إليه مستعدة للخروج ونهض الإثنان وغادرا الشقة . وعند بلوغهما الشارع سارا والذراع فى الذراع وسط نور الفجر الذى بزغت منه أشعة الشمس بدفئها المشرق المكتسح لبرودة الليل الطويل .

مؤلفات الدكتور نبيل راغب

كتب مؤلفة :

١ ـ قضية الشكل الفنى عند نجيب محفوظ	١٩٦٧
٢ ـ فن الرواية عند يوسف السباعى	١٩٧٢
٣ ـ مدارس الأدب العالمى	١٩٧٥
٤ ـ أنور السادات ـ رائدا للتأصيل الفكرى	١٩٧٥
٥ ـ المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية	١٩٧٧
٦ ـ معالم الأدب العالمى المعاصر	١٩٧٨
٧ ـ أدباء القرن العشرين ـ جزءان	١٩٧٩
٨ ـ موسوعة أدباء أمريكا ـ جزءان	١٩٧٩
٩ ـ مستقبل الديمقراطية فى مصر	١٩٨٠
١٠ ـ التفسير العلمى للأدب	١٩٨٠
١١ ـ الاشتراكية والحب عند برنارد شو	١٩٨٠

١٢ – فن المسرح عند يوسف إدريس	١٩٨٠
١٣ – دليل الناقد الأدبى	١٩٨١
١٤ – دليل الناقد الفنى	١٩٨١
١٥ – النقد الفنى	١٩٨١
١٦ – مستقبل العروبة فى مصر	تحت الطبع
١٧ – موسوعة الفكر القومى العربى	تحت الطبع
١٨ – الدراما الواقعية عند نعمان عاشور	تحت الطبع
١٩ – أعلام التنوير العربى	تحت الطبع
٢٠ – قضايا الفكر الأدبى عبر التاريخ	تحت الطبع
٢١ – أشهر المفاهيم الأدبية من الإغريق حتى الآن	تحت الطبع

كتب مترجمة :

٢٢ – الليلة الأخيرة فى القرن العشرين (مجموعة قصص)	١٩٦٩
٢٣ – ثورة الصيادين (رواية)	١٩٧٠
٢٤ – معالم الثقافة الأمريكية (دراسة موسوعية)	١٩٨٠

روايات مؤلفة :

٢٥ – الوصمة	تحت الطبع
٢٦ – سن اليأس	تحت الطبع
٢٧ – توابل الحب	تحت الطبع

رقم الايداع ٤١٣٣ / ٨٢
الترقيم الدولى ٤ – ٠١٠ – ١٧٢ – ٩٧٧

دار غريب للطبـــــاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى)
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) تليفون : ٢٢٠٧٩